

مَصْنَفَاتُ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ

(السنة ٤١٣ هـ)

٦



1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGRESS
OF (SHEIKH MOFEED)

تَصْحِيحُ اعْتِقَادَاتِ الْإِمَامِيَّةِ

المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفات الشيخ المفيد



تَصْحِيحُ اعْتِقَادَاتِ الْإِمَامِيَّةِ

تأليف

الإمام الشيخ المفيد

محمد بن محمد بن عثمان بن المعلم

أبي عبد الله، العكبري، البغدادي

(٢٣٦-٤١٣ هـ)

عنوان الكتاب:	تصحيح الاعتقاد
المؤلف:	الشيخ المفيد
المحقق:	حسين دركاهي
الناشر:	المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد
الطبعة:	الأولى
المطبوع:	٢٠٠٠ نسخة
المطبعة:	مهر
تاريخ النشر:	١٣٧١ هـ ش = ١٤١٣ هـ ق
الإشراف الفني	محمد هادي به
التنضيد والإخراج الفني الكمبيوتر	مؤسسة الإمام الصادق - مله السلام - قم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهجيتنا في التحقيق:

كان عملي في هذا الكتاب الشريف متضمناً لعدّة مراحل؛ أوردتها كالتالي:

١- مقابلة النسخة المطبوعة مع ستّ نسخ خطيّة أخرى - سيأتي ذكرها قريباً - بشكل دقيق، وتثبيت الاختلافات الواردة فيها.

٢- تخريج الآيات القرآنيّة الشريفة والأحاديث والروايات؛ من كتب الشيخ الصدوق - رحمه الله - أو الإشارة إلى مكانها في بحار الأنوار للعلامة المجلسي - رحمه الله.

٣- تقويم متن الكتاب وضبط نصّه، مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النسخ الخطيّة، والإشارة إلى ما كان صالحاً منها في الهامش. وقد اعتمدت في هذه المرحلة: طريقة التّفيق بين النسخ الخطيّة المعتمدة وبين المطبوعة؛ من أجل إثبات نصّ صحيح يكون - إن شاء الله تعالى - أقرب شيء لما تركه المصنّف - قدس الله نفسه الزكيّة - قدر الإمكان، وذلك لعدم وجود نسخة ذات ميزة خاصّة لدينا كي نعتمدها أصلاً من بين هذه النسخ، يمكن التّعويل عليها بشكل

كامل، بل كان جميعها مليئاً بالأسقام والإسقاط والتصحيف.

٤- تنزيل هوامش الكتاب؛ مستفيداً من كلّ ما أنجز في المراحل التحقيقية المتقدمة، وصياغة الكتاب بهذا الشكل الجميل.

٥- تصحيح عبارات الكتاب وفق أحدث القواعد الإملائية، مع ضبط تقطيع نصّه وتقسيم جملته.

النسخ الخطيّة المعتمدة:

لقد اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب النفيس على ست نسخ خطيّة؛ هي كالتالي:

١- النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران، ضمن مجموعة برقم ٢٨٣٣ (الرسالة الرابعة)، جاء في آخرها: فرغ من تحرير هذه الرسالة... في اليوم التاسع من شهر محرم الحرام من شهر سنة ثمانين بعد الألف من الهجرة... وكتبها... أحمد بن عبد العالی الميسيّ العاملي... [ثم قال النّاسخ عن هذه النسخة]: وأنا قد فرغت... من تحريره في اليوم السادس من شهر محرم الحرام سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد الألف... وأنا العبد الأحرر الجاني الحسن بن محمد الخيابانيّ التبريزي. مكتوبة بخط النسخ، تقع في ٤٥ صفحة، كلّ صفحة منها تحتوي على ١٩ سطراً، بحجم ١٩ × ١٣ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «أ».

٢- النسخة الموقوفة في مكتبة الأستانة الرضوية المقدسة في مشهد، برقم

١٢٨٤١ مع ضمائهم أخرى فيها، ناسخها مصطفى قلي الحسيني القزويني؛ بتاريخ ١٠٧٩هـ. مكتوبة بخط النسخ، تقع في ١٠٠ ورقة، تحتوي كل صفحة منها على ١٥ سطراً، بحجم ٢٣,٥ × ١٣ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ح».

٣- النسخة الموقوفة في مكتبة الأستانة الرضوية المقدسة أيضاً، برقم ٧٧٢١، ناسخها: ابن زين العابدين محمد حسين الارموي النجفي؛ بتاريخ ١٣٥٢هـ، بخط النسخ، تقع في ٢٤ ورقة، تحتوي كل صفحة منها على ١٩ سطراً، بحجم ٢١ × ١٦ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ز».

٤- النسخة الموقوفة في مكتبة الأستانة الرضوية المقدسة أيضاً، برقم ٦٧٤٧، ناسخها: شاه محمد بن زين العابدين، بتاريخ ١٠٤٢هـ. مكتوبة بخط فارسي، تقع في ٥٢ ورقة، تحتوي كل صفحة منها على ٢٠ سطراً، بحجم ٢٥ × ١٤ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ش».

٥- النسخة الموقوفة في مكتبة الأستانة الرضوية المقدسة أيضاً، برقم ٦٨١٦، مجهولة النسخ والتاريخ، مكتوبة بخط النسخ، تقع في ٣٥ ورقة، تحتوي كل صفحة منها على ١٤ سطراً، بحجم ١٧ × ١١ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «ق».

٦- النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران، برقم ٢٩٠٤، مكتوبة بالخط الفارسي (شكسته) بتاريخ ١٣٣٥هـ، مجهولة النسخ، وهي كثيرة الأخطاء والإسقاط، جاء في آخرها: لا يخفى أن النسخة التي كتبنا منها كانت مغلوبة في الغاية بالتأمل والحدس، أصلحت منها ما تيسر لي، وقد بقي منها مواضع تحتاج إلى التأمل والتصحيح والمراجعة، والله الموفق للصواب. تقع

في ٢٣ ورقة، تحتوي كل صفحة منها على ١٨ سطراً، بحجم ٢٠ × ٥,٥ سم. وقد رمزنا لها في الهامش بالحرف «م». هذا ولم تفدنا كثيراً في التصحيح، لذلك أهملنا ذكرها في كثير من مواضع الكتاب.

أخيراً؛ نسأل الله العليّ القدير أن يوفقنا وجميع الإخوة العاملين لإحياء تراث الأئمة الأطهار - عليهم صلوات الله الملك الجبار - وأن يتقبل منا هذا المجهود العلمي الضئيل وينفع به، ويجعله ذخراً لآخرتنا؛ إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تذكار:

تعليقات هذه الرسالة بعضها بقلم العالم الفاضل المرحوم الحاج الشيخ عباسقلي الواعظ الجرندي ورمزه «ج».

وبعضها بقلم العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله ورمزه «ش».

وبعضها بقلم العلامة الشيخ فضل الله الزنجاني رحمه الله ورمزه «ز».

وباقى التذييلات من مصحح الرسالة ومحققها.

وهذا من الشيخين من في كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين
 قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله ثم يوم يكف
 سان والسان وجه الأمر شدته قال الشيخ المفيد ومعنى قوله ثم يوم يكف
 سان يريد به يوم ما فيه يكف به عن امر شديد صعوبته وهو يوم
 والمداق على الأعمال والجزاء على الأعمال وظهور السرور أنك والبرهان
 على الحجة والسبب نعت سان عن الشدة ولذلك قال العرب فيما
 به من شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب على هرب قال وقام الحرب بنا على
 وقال أبو جعفر محمد بن خالد كفت لهم من سائرنا وبادرنا في الحرب
 وحدثت قصص الموت يخفو تخنها الأجل المناع ومن ذلك قولهم قد ألقى
 إذا أمدم أهلها واشتد أمرها بالمبالغة والشارب وقع الجدوة في الأ
 فصل وضع في سلام أبو جعفر بن شاهد اليد من القصة قوله ثم إذا كهد
 داود ذا الأيد فقال ذلك القصة قال الشيخ المفيد وفيه وجه آخر
 اليد عبارة عن النعم قال الشاعر له على بادلت أكرمها وإنما الكفران لا
 فيمثل قوله داود ذا الأيد الذي يريد به العلم ومنه قوله ثم بل يلهو بلسان
 يعني نعمتي اليامين في الدنيا والأخرة وقال أبو جعفر في قوله ثم ونوفيه
 مروي عن قتال هو روح مخلوقة أضافها إلى نفسه كما أضاف البيت إلى نفسه
 كان خلفا له قال الشيخ المفيد ليس وجه إضافة الروح إلى نفسه والنسبة

منها

صورة الصفحة الأولى من النسخة «أ»

قالت العربُ فيما عَبرت به عن سَنَةِ الحَرْبِ
وصعوبتها قامتِ الحَرْبُ علي ساقٍ قال
وقامتِ الحَرْبُ بنا علي ساقٍ وقال ابيضون
سعد بن خالد بيئت كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشر الصراخُ، وبليت عُقاب الموت
يخفق نختها لاجل المتألمين من ذلك فوطهم قدماً
السوق اذا ازدهم اهلها واشتد امرها
بالمبايعة والمشاراة ووقع الجِدِّ في ذلك
والاجتصاد **فَصْلٌ**
ومضى في كلامه ابي جعفر رحمه الله شاهد
اليدين القُدْرَجِ قوله تعالى واذا كرهتُنا
داودُ ذا اليمين فقال ذوق القوج قال
الشيخ المفيد وفيه وجه آخر وهو ان اليد
عاصم عن النعمة قال الشاعر له علي اباد
لستُ اكرهها، وانا الكفران لا يشكر النعمة

صورة أول ما في النسخة «ح»

بذلك او تنكره فذلك حيلة ما انطرت عليه من
 التفصيل بذات الحق في الاخبار المختلفة والصحيح
 فيها للامة لا بعد ايراد الاحاديث والعمارة
 كل واحد منها ما يتسا طريقه واما ما تعلق
 به ابو جعفر رحمه الله من حديث سليم الذي
 يرجع فيه الى الكتاب المضاف اليه واية ابا
 بن ابي عمير فالمعنى فيه صحيح غير ان هذا
 الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على قوله
 وقد حصل فيه تخطيط وتدليس فينبغي للمتدين
 ان يجنب العمل بكل ما فيه ولا يقول عليه جملة
 والتقليد لروايته وليفزع الى العلماء فياخذوا
 من الاحاديث ليفقهوا على الصحيح منها و
 الفاسد والله الموفق للصواب والبرهان
 والايه والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله
 الشيخ ابو جعفر بن ابي عمير
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٠١٤
 في مدينة بغداد

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «ح»

سماها زار آستان قدس
وروز خنجر

هذا شرح المفيد ضي الله عنه على عقايد الصدوق رضوان الله عليه
الحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على محمد وآله
قال الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق واللسان وجه الامر وشدة قال الشيخ المفيد
ومعنى قوله يوم يكشف عن ساق يريد به يوم القيمة يكشف عن امر
شديد صعب عظيم وهو الحساب والمدافعة على الاعمال والجزاء
على الافعال وظهور السرائر وانكشاف البواطن والمدافعة على
المسئلات والسيئات فعبّر بالساق عن الشدة ولذلك قالت
العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها قامت الحرب عن
ساق وقامت الحرب بناء على ساق وقال ايضا وهو سعد بن خالد
كشفت له لهم عن ساقها وبدامن الشرا الصراح وبدت عقاب الموت
يخفق تحتها الاجل المتاح ومن ذلك قولهم قد قامت الساق
اذا ازدحمهم اهلها واشتد امرها بالمبايعة والمشاراة ^{للملوك} وقع
في ذلك والاجتهاد ومضى في كلام ابو جعفر شاهد
اليد عن القدرة قوله تعالى واذكر عبدا نادى داود ذا الابد فقال
ذو القوة قال الشيخ المفيد وفيه وجه اخر وهو ان اليد ^ر تعبارة
عن النعمة قال الشاعر له على اياك لست اكفرها ذاتما الكفران
لا تشكر النعم فيحتمل قوله داود ذا الابد ان يريد به ذا النعمة
ومنه قوله تعالى بل يدهاه مبسوطان يعني نعمته العامين في

في كل واحد منهما ايات في طريقه او ما تعلق به ابو جعفره من حديث
سليم الذي رجح الى الكتاب مضافا اليه برواية ابان بن ابي عمير
فالمعنى فيه صحيح غير ان هذا الكتاب غير موقوف به ولا يجوز العمل على
اكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس وينبغي للمقند ان يحسب
العمل بكل ما فيه ولا يقول على جملته والتقليد بروايته ولا يفرغ
الى العلماء فيما تضمنت من الاحاديث لموقفه على الصحيح منها
والفاسد والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب والحمد لله رب العالمين
يقول الفقير الى الله الغني ابن زين العابدين محمد حسين الارموي
النجفي هذا عام ما في النسخة التي نسخت هذه منها وانفق الى الفرع
في اخر يوم من صفر سنة الف وثلثمائة واثنا وخمسين الهجرى

على هاجرها الف سلام وتحيته

وصلى الله على محمد واله

الظاهر
بن

حکم صحیح مدعی بر اعماد دارت ابن بابویه

در بیان بعضی از اینها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نعمه والحمد لله على محمد واله هذا صحيح عفا الله عما سلف من قبله
للشيخ ابي جعفر ابن بابويه رضي الله عنه تأليف الشيخ المفيد عليه السلام في تفسيره في تفسيره في تفسيره في تفسيره
قال الشيخ ابو حنيفة في رسالته الحصاد انما يعنى قوله بسم الله بكتف عن سائر الآيات



تاريخ
١٣٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم ويستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
قال الشيخ ابو جعفر محمد بن عثمان الحسين بن بابويه في قوله بسم الله بكتف عن سائر الآيات
والسنة في الامور الحديثة قال الشيخ المفيد ومن قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات
التي هي في بكتف عن سائر آيات وهو الحسب والموافقة على الاعمال والحوال
على الافعال في ظهور السر والعلانية والموافقة على الحسنات والسيئات في غير ذلك
من الشدة ولذلك قال الرب في غيرت به عن شدة الحرب صورتها قامت الرب في
قال وقامت الحرب بنا على سائر وقال ايضاً وهو سعد بن خالد كتبت لهم عن سائر آيات
من الشدة الصريح ودرت بقاب الموت كمن تحتها الاجل التبع ومن ذلك في لهم قدام
السوق اذا اذم اهلها واشتد امرها بالباية والشارت ووقع البرية ذلك الالباب
فصل في معنى كلام ابي جعفر رحمه الله في قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات
الايه تعالى في القوة قال الشيخ المفيد وفيه وجه اخر وهو ان اليد عبارة عن التمسك في
العمل ابداً ولست اقولها وانما الكون لا يشتر التمسك في قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات
التم وغير قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات في معنى التمسك في الدنيا والاخرة وذكر ابو جعفر
في قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات في معنى التمسك في الدنيا والاخرة وذكر ابو جعفر
البيت النفس واليه كان خلقاً له قال الشيخ المفيد ليس وجه الروح النفس النسبة
الرب حيث الخلق حسب بل الرجوع ذلك التمسك لها بل الاعظام والاعمال والاعتقاد
بالاكرام والتبجيل من جهة التمسك بها وذلك على انها مختصان من كرامته واعمال
لم يجعله لغيرها من الارواح والنبوت وكان الرض من ذلك دعا الخلق الى الاعتقاد
ذلك فيها والاعظام لها به فصل في قوله بسم الله بكتف عن سائر آيات

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ش» نقل

ليس في العدد وفي التفسير بالأيام عليهم السلام منهم اذ ان علامة التي في ذوق
ما بين الباطل ومن الحق مناداة لا يجوز ان تقع الاحكام عليه السلام على وجه التوبة
في عاودتهم في ذلك المقصود يعلم الذين لم يصححوا ولا صلحوا من غير ما اورد
كان القول فيه ولو ذكره بعينه وادرسهم لم يربطه اليه على ما فيهم وهم المرفود
بالقياس والملا والمراوم ونقل الزواجر والسنة والاحكام ومنزجها صحتها
كما في الكتاب فلا يصح دفاعة له على حال اطرحناه لفتنا الكتاب بتركه في الامور
عليه وكن ذلك لغيره صحتها كما في الاحكام العقول لطرفه في قضية العقل
م الكمال بعد ذلك على انه صحيح في جميع النسخ او باطل في النسخ التي هي مرفود على العطف
وما كور الشريعة في القول بالسياسة وكظنه ونظر العادات بتركه او يكره منه في
ما انطوت عليه من التفصيل على ما في المتن الا انما في التلمذة والصحح فيها لا يتم
الا بعد ايراد الاحاديث والروايف كل واحد منها ما جانا طريقه واما ما في قوله
وهو انه من غير حديث علم الزواجر في الكتاب المضاف اليه روايه ابان
الي عياشي فالمتن فيه صحيح غير ان هذا الكتاب بغيره مرفود به في كور العمل على
اكثره وقد حصل فيه تخطيطه وليس ينبغي للمؤلف ان يفتن العمل به في
ولا يمول على جملة والتعليق رواية والنسخ الى العلماء فيما تضمنه من الاحاديث
ليفتقروا على الصحيح منها والى سدوا في الوقت للصواب تمت
قد زفت من كور هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه رحمه
الشيخ الامام العلامة السيد المفيد بمرآة الاثني عشر الموضع التي كانت
ساقطه من المتن غير انه تم حصولها بغير النسخ المذنب المتبع الى روايه
المعينة ه همدان بن العارفين بن عبد السور من بنادر الهندية في
جميد الثاني سنة الف وثمان مائة في عهد الابرار والوف حامد امصليا

بازين شد سمن
بازين شد سمن
بازين شد سمن

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «ش»

بغاله آستان قدس

بمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله على نواله والصلوة على محمد وآله هذا تصحيح اعطاء الامام
للشيخ ابي جعفر ابن بابويه رضى الله عنه ما لى الشيخ المفيد ابي عبد
محمد ابن محمد ابن النعمان قال الشيخ ابو جعفر فى رساله اعطاء ما روى
قوله نعم يوم يكشف عن ساق الساق وجه الامر وشده قال ابا
المفيد معنى قوله يوم يكشف عن ساق يريد يوم القيمة يكشف فيه
عن امر شديده عظيم وهو الحساب والمواضع على الاعمال والجزاء
على الافعال وظهور السرور وانكشاف البواطن والمواضع على الحسنات
والسيئات خبر بالساق عن الشدة ولذلك قال لك العرب فيما عرفت
بدر عن شدة الحرب وصعوبتها فامت الحرب على ساق ونامت الحرب

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ق»

تخلط وتدليس فتبغى للبدن ان يجذب العمل بكل ما فيه
ولا يعول على جملة والتقليد لرواياته ولينزع الى العمل
بما تضمنه من الاحاديث لموضوه على الصريح والفا^{سه}
والله اعلم بالصواب

سال ١٣٤٨ خورشیدی
بازمانی شد

سنة اربع مائة واربعة وثمانون
هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ابو جعفر بن عثمان بن ابي بن بابويه في قوله يوم يكف عن ساق والي في قوله
 الامر وشدة قال الشيخ المفيد ومن قوله يوم يكف عن ساق يريد به يوم النعمة
 يكف عن ارشيد صعب عظيم وهو الحجاب والمدافعة على الاعمال والكرام
 على الدفول وظهور الرأى والتمسك بالوطن والمدافعة على الحيات و
 اثبات فخره في ساق في الشدة وكذلك ثالث العرب فيها عورت
 عن شدة الحرب وصعوبتها مات الحرب عن ساق في ساق في ذلك
 وهو سعد بن خالد كفت لهم عن ساقها وبدا في السر الصراخ وبدا
 عقاب الموت يخفق تحتها لدجر الجبر المتخ وفي ذلك قوله فدهت
 اسوق اذا اذدم اهلها واشتد امرها بالبايعه وان رات وقع العبد
 في ذلك والوجه في كسر في كسر ابي جعفر في قوله اليوم القدر قوله
 واذا كرهنا داود داود لا بد فقال في القوة قال الشيخ المفيد وفيه وجه
 اخر وهو ان الديو تا عن النعمه قال ان عولم على اولت الكفر وان
 ما القرآن لا تكسر النعم فيجتم قول داود داود الديو ان يريد به ذلك
 ومنه قوله تم بربدها بموطان بمعنى نعمة الامتياز في الدنيا والذوقه قال
 ابو جعفر في قوله تم ونفخت فيه في روجي فقال هي روج موقوفها
 الى نفسه كما اضاف البيت الى نفسه وان كان فقوله قال المفيد
 اضافة الى نفسه وانسبه اليه في حيث امكن حسب المراد في ذلك التبر

والمدافعة
 والمدافعة
 على

فعل

الوجه

له

متى وجدنا حديثاً يخالفة الكتاب فندفعه ونأخذ به على حاله ^{على حاله} لفظاً الكتاب
 بذلك وإجماع الأمة وكذلك ان وجدنا حديثاً يخالف حكم القول لفظاً
 لفظية التعريف به ثم الحكم بعد ذلك على انه صحيح ^{صحيح} يخرج لفظية او بغيرها
 اياهم موقوف على لفظه وما تجوز لفظية فيه القول بالقبلة ونحوه ونقصر ان
 بذلك او نكره فنهذه جملة القول بالنظر عليه من التخصيص يدل على ان
 في الاخبار المختلفة والصريح فيها ليدتم الابدان ايراد الحديث والقول في
 كروا احد منها ما في طريقه او تعلق به ^{اباناً} ابو جعفر من حديث سليم الذي روي
 الى الكتاب مصافاً اليه برواية ابان بن ابي عياش ^{الصفاء البهوتي} فالمعنى فيه صحح
 هذا الكتاب غير موقوف به ولا يجوز العمل به ^{موقوفاً} وقد خصه فيه كالمخطط و
 تدليس وغير المقدمين ان يكتب بعد بقرائه ^{موقوفاً} ولا يعمل على جملة تدليس
 لروايته ^{موقوفاً} ويتفرع الى التام فيما تضمنه من الحديث ليوثقه على الصحيح ^{موقوفاً}

عليه

ما يشاهد

مقدمين
 وبلغه
 (٤)

هذا خبراً يروى في الشريفة تدريس النفس الزكية وقد
 وقع الفراع من تور من نسخة الشريفية
 الدين تاسع شهر جمادى الاخر سنة
 خمس وثمانين وثمان مائة
 لفسن البهوتية
 على ما جرى له
 البهوتية في
 الكوفة
 ١٣٥٥
 م

الشيخ المفيد

و

« تصحيح الاعتقاد »

بقلم: العلامة الشهرستاني^(١) «قدس سرّه»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها القارئ الكريم: قرأت بادئ بدء على الغلاف اسم الشيخ أبي عبد الله المفيد: محمد بن محمد بن النعمان - أنعمه الله بالرحمة والرضوان - كما قرأت اسم تأليفه القيم «تصحيح الاعتقاد»، ولكن هل عرفت يا صاح ما هذا المؤلف ومن ذاك المؤلف؟

أما التأليف فجملة جمل قيمة، علقها كفرائد من نتاج يراعه ذلك الكاتب العبقرى؛ الشيخ المفيد العكبرى، حول عقائد شيخه الصدوق أبي جعفر - رضي

(١) اقرأ ترجمته الشريفة الضافية في كتاب (نابغة العراق - أو - هبة الدين الشهرستاني ط بغداد ١٣٤٨هـ) لفقيه العلم والأدب السيد محمد مهدي العلوي السبزواري من أشهر كتّاب العربية في إيران (المتوفى سنة ١٣٥٠هـ بسبزواري) رحمه الله رحمة واسعة. ج.

الله عنه -^(١) تلك العقائد التي دونها هذا الشيخ باسم الإمامية، وأوهم الناس بآتها كذلك، وجملة منها ليست بذلك^(٢).

ولقد نوّهت قبل عشرين عاماً في بغداد بذكر (تصحیح الاعتقاد) ولزوم نشره بين أبناء الضّاد، فاستحسن ذلك أكثر من بلغهم التّنويه، لكننا الحوادث الكوارث حالت بيننا وبين ما نروم، وحتى أن المرشد الشّهريّ البغداديّ قام بنشر

(١) قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ في تأليفه القيم (الفهرست - ص ١٥٦ - ١٥٧ ط النجف): محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، جليل القدر يكتى أبا جعفر، كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم يُر في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصتّف، وفهرست كتبه معروف. وقال العلامة السيّد محمد صادق «آل بحر العلوم» في تعليقه عليه: نزيل الرّي، شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن... مات (رض) بالرّي سنة ٣٨١هـ وقبره بالرّي قريب من قبر الشّاه عبد العظيم الحسيني، ويلقب بالصدوق. ج.

(٢) قال العلامة الكبير الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ نزيل النجف الأشرف في تأليفه النّيس (الذريعة إلى تصانيف الشيعة - ص ٢٢٦ ج ٢ ط النجف): الاعتقادات للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ؛ المتوفى بالرّي سنة ٣٨١ طبع مراراً أوله: «الحمد لله رب العالمين، وحده لا شريك له» أملاه في نيسابور في مجلس يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ٣٦٨ لما سأله المشايخ الحاضرون أن يملي عليهم وصف دين الإمامية على وجه الإيجاز، ولذا سمّاه الشيخ في الفهرس بدين الإمامية*؛ ذكر فيه جميع اعتقادات الفرقة النّاجية؛ الضّرورية منها وغير الضّرورية، الوفاقية منها وغير الوفاقية.

وقال في آخره: «وسأملّي شرح ذلك وتفسيره إذا سهّل الله عزّ اسمه عليّ العود من مقصدي إلى نيسابور» ولم يذكر شرح له في فهرس تصانيفه الكثيرة، ولعلّه لم يتيسر له، ولذا عمد الشيخ المفيد إلى شرح الكتاب، وله شروح وترجمة تذكرها في محالها. ج.

* أنظر (الفهرست - ص ١٥٧ ط نجف) فأنه - قدس سره - سمّاه فيه: (كتاب دين الإمامية).

الشّطر الأوفر من ذلك ثمّ احتجب، إلى أن قيّض الرّحمن لهذه المهمّة رجل المهمّة، ومثال صدق العزيمة، ترجمان حديث الأئمّة - عليهم السلام - أعني به فضيلة الواعظ الجرندي؛ الحاج ميرزا عباس قلي التبريزي، فشمّر عن ساعد الجدّ والاجتهاد لنشر المكمل المشروح من تصحيح الاعتقاد؛ وهو هذا المنشور بين يديك.

أمّا مؤلّف هذا السّفر القيم أعني أبا عبد الله المفيد، فهو نابغة العراق، ورئيس شيعته على الإطلاق، ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ست وثلاثين أو ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفّي ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ وقد كان في الشيعة عرقها النابض، وبطلها الناهض، ودماغها المفكّر، ورئيسها المدبّر، معروفاً بالصّلاح، بل غرّة رجال الإصلاح، والخطيب المصقع، والمتكلم المفوّه، والمنافع اللّسن، والفصل المشترك بين الإمام والرّعيّة، ليس في ختام المائة الرابعة فحسب، بل حتّى اليوم^(١).

كانت داره بالكرخ من بغداد دائرة للمعارف العالية، ومدرسة للفنون العربيّة الرّاقية، وحسبك أن قد تخرّج منها أمثال الشّريفين الرّضويّ والمرتضى، وأبي جعفر الطّوسيّ والنّجاشيّ وخلق لا يحصون، ولذلك لقّب بمعلم الأعاظم وابن المعلّم، لقيامه كأبيه بتربية الأعلام، ولقّب بالمفيد عليّ بن عيسى الرّمانيّ النّحويّ عند تبرزه في الحجّاج على خصومه أمثال أبي بكر الباقلاّنيّ؛ قاضي قضاة بغداد، وسائر أقطاب الهيئة العلميّة^(٢).

لقد كان المفيد مفيداً حقّاً، مفيداً في القول والعمل، مفيداً في الافتكار والابتكار، آية في الذّكاء وسرعة الخاطر وبداهة الجواب، حتّى قال فيه أمثال الخطيب البغدادي: إنّه لو أراد أن يبرهن للخصم أنّ الأسطوانة من الذّهب وهي من الخشب لاستطاع.

(١) أنظر كلمة الإمام آل كاشف الغطاء في صدر كتاب (أوائل المقالات - ص ١٣٧١ ق). ج.

(٢) أنظر مقدمة كتاب (أوائل المقالات - ص ١٣٧١ ق). ج.

اتّصل الشّيخ المفيد بالدّولة البويهيّة في عاصمتها بغداد في مبدأ أمرها اتّصلاً وثيق العرى، فقدّروا مكانته حقّ قدرها، وأجروا الرّواتب له ولتلاميذه، وخصّصوا له جامع (برائنا) في منطقة الكرخ لوعظه وإقامة الصّلاة جمعةً وجماعةً، وله معهم نوادر وقضايا منشورة ومشهورة.

توجّهت إليه جماعة الإماميّة، وانقادوا لرئاسته الدّينيّة يوم كانت بغداد تموج بالفتن، وقد أكلت قواهم الإحن، والشّيعية يومئذ شيع وأحزاب تمزقت شرّ تمزق، وتفرّقت إلى ميميّة وعينيّة وغلاة ومخمّسة وزيديّة وإسماعليّة وو، فجمع المفيد بحسن سياسته آراءهم إلى الوسط الّذي يرجع إليه الغالي، و يلحق به التّالي، فاستعمل الرّأي السّديد، وقبض على أمر الجماعة بيد من حديد، فلمّ شملهم بعد البداد، وقرب قوماً من قوم بعد طول ابتعاد، وألغى الفوارق التّافهة توطيداً للألفة، كما أخذ نواتر الفتن، وحى مآثر المبدعين، وقضى على أقطاب الضّلالة، وأخرس شقاشقهم، فاتخذ لتخفيف وطأة انتشار الضّلال طريقة اختصار بعض الكتب، وتلخيص بعضها، وردّ جملة منها بالحجج الدّامغة، و اختصار بعض المسانيد المؤثرة، و تقرأ في ترجمته المفصّلة في كتب التّراجم ككتاب (الرجال ص ٢٨٣ - ٢٨٧ ط بمبئي) لتلميذه أبي العباس النّجاشي؛ المتوفى سنة ٤٥١ هـ، و(خاتمة مستدركات الوسائل ص ٥١٧ - ٥٢١) للشّيخ النّوري؛ المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ أعماله العزّ وأسماء مؤلّفاته البالغة فوق المائتين كتاباً.

أجل، وضع المفيد للمجموعة الشّيعيّة مجموعة كتب نافعة مقننة لو اقتصروا على دراستها لأعنتهم، كالإرشاد إلى فضائل الأئمّة الأجماد^(١)، والمسارّ

(١) قال العلامة السيّد إعجاز حسين في تأليفه القيم «كشف الحجب والأستار ص ٣٨ ط الهند»:

الإرشاد للشّيخ المفيد... في حال الأئمّة - عليهم السلام - من مواليدهم ووفياتهم ومحاسنهم

لمواسم الأعياد^(١)، والنُكت الاعتقاديّة لدراسة أصول الدّين^(٢)، والمقنعة لدراسة فروع الدّين^(٣)، وأهمّهنّ كتابه الموسوم بـ «تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد» الَّذي انتقد فيه عقائد شيخه الصّدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ؛ المتوفّي سنة ٣٧١هـ.

نعم، بلغ شيخنا المفيد من الجهاد في الحقّ مبلغ من لا تأخذه في الله لومة لائم، فأزاح عن الكتاب ما علّقت عليه من ستائر الشُّبه، وما علقت به من

آثارهم وما ورد من القرآن في حقّهم وطرفاً من كلامهم وقضايهم، وهو مرتّب على جزئين:

الأوّل: في ذكر مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -.

والثاني في ذكر باقي الأئمّة - عليهم السلام - وقد طبع بایران كراراً وأحسن طبعاته صحّة وإتقاناً

طبعة تبريز سنة ١٣٠٨ هـ ق.

ونقله إلى الفارسيّة المولى محمّد مسیح الكاشانيّ الشَّهير بـ (مولا مسيحا) الَّذي توفّي قبل وفاة

العلامة آقا جمال الخونساري - الَّذي توفّي سنة ١١٢٥ أو سنة ١١٢١ هـ - وسماه بـ «التَّحفة

السَّليانيّة» باسم الشَّاه سليمان الصَّفوي. وطبع بایران سنة ١٣٠٣ ق. ج.

(١) طبع سنة ١٣١٣ هـ بمصر تلو «شرح القصيدة الذهبية» للسَّيد المرتضى - رحمه الله. ج.

(٢) طبع للمرّة الثَّانية ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ مع تعاليق رشيقة لساحة العلامة الأكبر السَّيد هبة

الدِّين الشَّهرستانيّ مدّ ظلّه، ونقله للفارسيّة العلامة الشَّهير الحاج الشَّيخ غلام حسين التَّبريزيّ

- نزيل المشهد الرّضويّ - مدّ ظلّه، وعلّق عليه بعض التعاليق المفيدة وطبع بالمشهد المقدّس

الرّضويّ، كما أنّه ترجمه إلى اللّغة الفارسيّة العذبة العلامة الشَّيخ محمّد مهدي (شرف الدِّين)

التَّستريّ، وطبع بطهران سنة ١٣٢٩ ش هـ مع بعض حواشٍ وتعاليق له. ج.

(٣) طبع سنة ١٢٧٤ هـ على الحجر بایران تلو كتاب فقه الرضا - عليه السلام -، ولا يخفى أنّ تلميذه

الطُّوسيّ قد شرحه في تأليفه الموسوم بـ «تهذيب الأحكام» الَّذي هو أحد الكتب الأربعة المعول

عليها عند الأصحاب من لدن تأليفها حتّى اليوم، وطبع سنة ١٣١٨ هـ بایران في مجلدين

كبيرين.

وقال في «كشف الحجب ص ٥٤٨» المقنعة في الفقه للشيخ المفيد... ذكر فيه الأصول

الخمس والعبادات والمعاملات، وقد ترك شيخ الطائفة قدّس سرّه شرح الأصول الخمسة في

التهذيب، أوّل: الحمد لله الَّذي نهج السَّبيل إلى معرفته، ويسر ما دعا إليه من طاعته. ج.

جرائم الشكوك، وذلك بأجوبته السديدة التي لأخت لها في نتائج أقلام
الأعلام من الحقائق المعقولة، والدقائق المقبولة؛ التي استخلصها هذا المصلح
العظيم من صريح العقل، وصحيح النقل، فلولاه ولولاها ل بقي أكثر الناس
حيارى بلا هدى ولا كتاب منير.

هبة الدين الحسيني

الشهير بالشهرستاني

طهران - إيران

ق ١٣٦٣

تصحيح الاعتقاد (*)

(*) قال صاحب مجلّة «المرشد» المفضل في ضمن مقدّمته لهذا الكتاب في مجلّته الغراء ص ٧٨ ج ١ ط بغداد، ما لفظه: وكان سباحته (يعني العلامة الشهرستاني) قد أشار في هامش هذه النسخة النادرة إلى ما قاساه في سبيل تحصيلها وتصحيحها في رحلته الهندية سنة ١٣٣١ هـ علاوة على ما علّق على متنها من ملاحظاته المهمة التي عزّ الوصول إلى أمثالها وندر.

وقال العلامة الهندي السيد إعجاز حسين في كتابه النفيس «كشف الحجب والأستار ص ١٢٤ ط الهند»: تصحيح اعتقاد الإمامية - شرح اعتقادات الشيخ أبي جعفر بن بابويه القميّ للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثي... أوله: الحمد لله على نواله، والصلاة على محمد وآله، هذا تصحيح اعتقاد الإمامية... إلخ. ج.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نواله، والصلاة على محمد وآله، هذا تصحيح اعتقاد الإمامية^(١) للشيخ أبي جعفر بن بابويه - رضي الله عنه - تأليف الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان - رحمه الله -^(٢).

(١) الاعتقاد هو المحرك الأول نحو الفعل، والمهتي الأول لقبول الأثر، وللأخلاق والعواطف المنزلة الثانية من التأثير والاعداد مهما كانت قوّة التأثير، فالاعتقاد هو العامل الأول بكل معنى الكلمة، وله أثر عظيم في تقدم الأفراد والأمم، والمدخلية العظمى في تسافل الإنسان وفشل أعماله، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بحسن العقائد، وكم تدهورت أمم عظمى في هوة الانقراض من سوء الاعتقاد.

فإذا كان الاعتقاد بهذا الشأن فالاهتمام بتصحيح الاعتقاد فريضة فوق الكل، ولما كانت مقالات الصدوق أبي جعفر في عقائده مشوبة بأرائه الشخصية - كما سيأتي - وبصورة موهمة الحكاية عن كافة الشيعة، نهض لنقدها شيخ الإمامية، وغرة رجال الإصلاح؛ المفيد محمد بن محمد بن النعمان - قدس سره - لتنزيه المذهب عن الشائعات والشائبات، ولتصحيح عقائد المسلمين من غرائب الآراء والأهواء؛ إذ الاعتقاد - كما سلف - هو المحرك الأول (أيما إلى جنة أيما إلى نار). ش.

(٢) ومفتح النسخة التي هي بخط أحمد بن عبد العالي المسيّ العاملي هكذا: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ والساق وجه الأمر وشدته.

قال الشيخ المفيد: ومعنى قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يريد به يوم

القيامة... إلخ ج.

معنى كشف الساق

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ في رسالة اعتقاداته^(١) في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾^(٢) الساق: وجه الأمر وشدته^{(٣)(٤)}.

قال الشيخ المفيد: معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(٥) يريد به

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق ص ٢٣.

(٢) القلم: ٤٢.

(٣) فالآية المذكورة تهّد المشركين الذين أنفوا من السجود لرب العالمين فتوعدهم بمجيء يوم عصيب (ولو في هذه الدنيا ومن بعد فتح مكة) تتجلّى فيه عظمة دين التوحيد، وقوة تعاليم القرآن، فيرغمون فيه على عبادة الله ويدعون إلى السجود.

ولفظه (كشف الساق) على وجازتها تشير إلى لطيفتين، إحداهما: شدة الحالة الداهية، والثانية: تجليات الحقائق الإسلامية في المستقبل، لأن العرب تكنى بكشف الساق عن هاتين الحالتين، وقد جرت عاداتهم على كشف الساق عند استقبال أحوال الطريق والغمرات، وعلى الكشف عن ساق الجارية قبل شرائها أو بعده لمعرفة عيوبها والمحاسن، فأين الآية من الدلالة على ساق الرّب تعالى عنه، سيّما مع تكرير الساق وعدم إضافته إلى أحد؟! ش.

(٤) راجع بحار الأنوار ٣: ٣٠٩-٣٣٩ وج ٤: ١-٢٥.

(٥) هذا ابتداء الرّد على المجسّمة، وهي فرقة عرفت بعد القرن الأول الهجري، وتفتّت في

المسلمين، ودعواها جواز وصف الله تعالى أوصاف الإنسان الجسدية والنفسانية، وأنّ له ﴿﴾

يوم القيامة [يكشف فيه] ^(١) عن أمر شديد صعب عظيم، وهو الحساب والمدافعة ^(٢) على الأعمال، وجزاء على الأفعال، وظهور السرائر وانكشاف البواطن، والمدافعة ^(٣) على الحسنات والسيئات، فعبر بالساق عن الشدة، ولذلك قالت العرب فيها عبرت به عن شدة الحرب و صعوبتها: «قامت الحرب على ساق» و «قامت الحرب بنا على ساق» وقال شاعرهم أيضاً وهو سعد بن خالد:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشرّ الصّراح
وبدت عقابُ الموت يخفق تحتها الأجل المتاح

ومن ذلك قولهم: قد قامت السوق، إذا ازدحم أهلها واشتد أمرها بالمبايعة والمشاركة، ووقع الجدّ في ذلك والاجتهاد.

﴿تعالى يداً وجنباً وعيناً وأذناً وقدماً وساقاً... إلخ، حتى كشف زعيمهم عن ساقه وقال (الله ساق كهذه) ولهجت عامتها بخرافات يأنف اليراع من إيرادها. وسبب انتشار دعواهم قصور كثير من الناس عن تفسير متشابهات القرآن وتمييز وجوه أمثالها و مجازاتها الرائعة عند العرب، فصاروا يفسرون الظواهر من مثل ﴿قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ (يونس: ٢) و﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ و﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) ومئات آيات أخرى بنحو ما يفهم من الكلمة في أصل اللغة، وقد أوضحنا تفاسيرها جميعاً في «المحيط» وفي «الدلائل» وغيرهما. ش.

(١) «ز» «ش»: ينكشف به.

(٢، ٣) «ق» «ش»: والمواقفة، «ز» «م»: والمدافعة.

[تأويل اليد]

فصل:

و مضى في كلام أبي جعفر - رحمه الله - شاهد اليد عن القدرة قوله تعالى:
﴿وَأَذْكُرُّ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾^(١) فقال: ذو القوة^(٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: وفيه وجه آخر وهو أنّ اليد عبارة عن
النّعمة، قال الشاعر:

له عليّ أيادٍ لست أكفرها وإني الكفر ألا تشكر النعم

فيحتمل أنّ قوله تعالى: ﴿داود ذا الأيد﴾ يريد به ذا النعم، ومنه قوله تعالى:
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) يعني نعمتيه العامتين في الدنيا والآخرة.

(١) ص: ١٧.

(٢) الاعتقادات ص ٢٣ ، مجمع البيان ٤: ٤٦٩ ، التوحيد: ١٥٣ / ١.

(٣) قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هي الآية الرابعة والستون في سورة المائدة، وتامها: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾... إلخ، استعارة أسماء الجوارح للمعاني والمجردات سائغة وشائعة كقوله تعالى: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ البقرة: ٢٣٨. وليس للنكاح عقدة محسوسة ولا انشوطتها في كفّ وليّ الزوج الحسبيّة، فمن الجهل الفاضح توقّف المجسّم من تأويل اليد في الكتاب والسنة.

وفي الحديث النبويّ: الحجر الأسود يمين الله في أرضه، وقد حكى اتفاق الظاهرية، حتى الإمام أحمد بن حنبل على وجوب تأويل هذا الحديث، فليست الاستعارة عار الكلمة لو

«نفخ الأرواح»^(١)

أبو جعفر - رحمه الله - في قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^(٢) فقال:
هي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه كما أضاف البيت إلى نفسه وإن كان خلقاً له.

﴿لم تكن زيتتها، ولا هي بدعاً في العربية، بل هي سنة البلغاء من كل الأمم، فللجميع تعابير شكوى من يد الزمان حيث لا يد للزمان ولا جسد، ولهم الشكوى من يد المنون وليس بذي يد. وقال الشاعر الجاهلي: «وإذا المنية أنشبت اظفارها»... إلخ، وأتى للمنايا من أكف أو أظافر، فهل يحمل الجسم كل هذه الكلم على حقائقها اللغوية المحسوسة، أم يختار فيها وفي أمثالها ما نرجحه في آية: «لما خلقت بيدي» (ص: ٧٥)؟

وإذا جاز المجاز في القرآن ولو مبدئياً فلنا على تأويل اليد في خصوص هذه الآية شاهدان منها عليها، أحدهما: جملة «غُلَّتْ أيديهم» فإن أيدي اليهود المحسوسة لم تغل بأغلال محسوسة، وإتيا ذلك منه كناية عن خزي وعار لحقا بهم، وثانيهما: جملة «ينفق «برحته» كيف يشاء» فإنه دليل إرادة النعمة من كلمة اليد - كما اختاره الشيخ المفيد وغيره.

وفي القرآن شاهد ثالث في (سورة الاسرى: ٢٩): «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط»... إلخ، فإن مغلّة اليد فيها كناية عن الشح والتقتير، وبسطها كناية عن التبذير والسرف في الصرف أو العطاء، والقرآن يفسر بعضه بعضاً. ش.

(١) الاعتقادات ص ٢٣.

(٢) قوله تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» (الحجر: ٢٩) لا يسع الناس حتى المجسمة المشبهة والظاهريّة أن يجمدوا على ألفاظ «نفخت فيه من رُوحِي» دون أن يتأولوا المجاز فيها، لأنّ النّفخ الشائع بالهواء إن جوّزه على الآلات أو من الآلات فلن يجوّزه على الرّوح أو من الرّوح أحد حتى الحسويّ الجهول، وإذا تعدّرت الحقيقة فأنسب المجازات اتّخاذ النّفخ استعارة عن الحركة ﴿﴾

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: ليس وجه إضافة الروح [والبيت] إلى نفسه^(١) والنسبة إليه من حيث الخلق فحسب^(٢)، بل الوجه في ذلك التمييز لهما بالإعظام والإجلال والاختصاص بالإكرام والتبجيل من جهة التحقق بهما، ودل بذلك على أنهما يختصان منه بكرامة وإجلال لم يجعله لغيرهما من الأرواح والبيوت^(٣)، فكان الغرض من ذلك دعاء الخلق إلى اعتقاد ذلك فيهما والإعظام لهما به.

التدرجية المحسوسة في نمو الإنسان تشبهاً لها بحركة الجراب المنفوخ أو نحوه فيه، فالتشابه بين نمو الإنسان وبين الحركة التدرجية المحسوسة في الجراب المنفوخ يسوغ استعارة لفظ النفخ لمعنى نمو الجسد المحسوس من ولوج الروح فيه، فترى القرآن يصور نمو الإنسان من محرك خفي في داخله أعني الروح الشبيهة بحركة الجراب من محرك خفي في داخله أعني الريح، ولكن بتصوير بليغ في لفظ وجيز.

أما الروح فهي بمعناها الشائع وغنية عن كل تأويل، والغرض منها الإشارة إلى نمو الإنسان في بدء أمره بواسطة الروح غير أن المهم هو كشف السر عن سر إضافتها إلى الله تعالى، فإن الإضافات تختلف وجوه الاعتبارات فيها حسب اختلاف المضافات، فالخلق عبيد الله باعتبار رقيتهم له، والرقيّة من أظهر صفات العبيد، والأنبياء سفراء الله باعتبار إبلاغهم أحكام الخالق إلى الخلائق، وهذا التبليغ من أظهر صفات السفراء، والكعبة بيت الله باعتبار اجتماع المسلمين فيها كإخوة، ومن أظهر مزايا البيت جمع شمل الإخوة والعائلة، والمسيح روح الله باعتبار ظهور الكمالات الملكوتية فيه، ومن أظهر صفات الروح أنها مرآة كمالات الملكوت.

إذن فالروح تستحق الإضافة إلى الله بهذا الاعتبار، إذ هي مرآة كمالات الملكوت والمظهر الأتم لكمالات الرب وأسراره الغيبية، وهذه الوجوه أَرْضَى من أوجه الشيوخين الجليلين. ش.

(١) أي في الآيات الكريمة: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٦) - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (سورة الحج: ٢٦). ج.

(٢) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق» «م»: حسب.

(٣) «ق»: والبيوتات.

[حكمة الكناية والاستعارة]

فصل:

والذي قاله أبو جعفر - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾^(١) أن المراد: بقدرتي وقوتي^(٢).

قال أبو عبد الله: ليس هذا هو الوجه في التفسير، لأنه يفيد تكرار المعنى، فكأنه قال: بقدرتي وقدرتي أو بقوتي وقوتي؛ إذ القدرة هي القوة والقوة هي القدرة^(٣)، وليس لذلك معنى في وجه الكلام، والوجه ما قدّمناه من ذكر النعمة،

(١) قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ (سورة ص: ٧٥) لا يفوتك أن القرآن (حسبنا أوضحناه) يستعمل أفانين البلاغة كأبلغ خطيب، وقد جرت سنة البلغاء في كافة الأمم على الاهتمام بصب الكلام مصباً محسوساً لتمثل عند المخاطب معانيهم كأنه يراها محسوسة لديه ومركوزة نصب عينيه، ولأجل البلغة إلى هذا الغرض المهم سلكوا سبل الكناية والاستعارة؛ إذ فيها إقامة المحسوس مقام المعقول بعد ثبوت الملازمة أو المحاكاة بينهما نظير حكاية الأسد عن الشجاعة أو العقرب عن إيذاء الصديق، فعند التعبير بها عن هذين المعنيين يتمثل المعقول محسوساً ونافاذاً في الخواطر، هذه حكمة الكنايات والاستعارات ومن ذلك استعارة اليد عن القوة والاحسان؛ إذ ليس في أعضائك عضو يقوم بخدمتك أو يظهر عملك وقوتك مثل يديك، لذلك استحققت اليد أن يؤتى بها حكاية ومثلة عن القوة والبطش تارة، وعن الإنعام والإحسان أخرى؛ كما ذهب إليه الشيخان الجليلان، وقد أوضحنا الأمر في تأويل آية: ﴿بِل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. ش.

(٢) الاعتقادات ص ٢٣، مجمع البيان ٤: ٤٨٥، التوحيد: ١٥٣/١، ٢.

(٣) فيه نظر. ش. ظ.

وَأَنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ نِعْمَتِي اللَّتَيْنِ هُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِيَدِي﴾ تَقُومُ مَقَامَ اللَّامِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: خَلَقْتَ لِيَدِي، يَرِيدُ بِهِ لِنِعْمَتِي؛ كَمَا قَالَ^(١): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) وَالْعِبَادَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا تَعْقِبُهُمْ ثَوَابَهُ تَعَالَى فِي النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَفِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرٌ، وَهُوَ: أَنَّ الْمَرَادَ بِالْيَدَيْنِ فِيهَا هُمَا^(٣) الْقُوَّةُ وَالنَّعْمَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ خَلَقْتَ بِقُوَّتِي وَنِعْمَتِي، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ: أَنَّ إِضَافَةَ الْيَدَيْنِ إِلَيْهِ إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِ تَحَقُّقَ الْفِعْلِ لَهُ وَتَأْكِيدَ إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ وَتَحْصِيصَهُ بِهِ دُونَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ قُدْرَةٍ أَوْ نِعْمَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَشَاهِدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَكَ﴾^(٤) وَإِنَّمَا أَرَادَ: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فِعْلِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٥) وَالْمَرَادُ بِهِ: فِيمَا كَسَبْتُمْ.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا: «يَدَاكَ أَوْكْنَا وَفُوكَ نَفَخْنَا»^(٦) يَرِيدُونَ بِهِ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ وَتَوَلَّيْتَهُ وَصَنَعْتَهُ وَاخْتَرَعْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ اسْتَعْمَلَ بِهِ جَارِحَتِيهِ اللَّتَيْنِ هُمَا يَدَاهُ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ.

(١) فِيهِ نَظَرٌ ش. ظ. (٢) الذَّارِيَاتُ: ٥٦. (٣) «ش»، «ح»، «ق»: هُوَ.

(٤) الْحَجَّجُ: ١٠. (٥) الشُّورَى: ٣٠.

(٦) قَالَ الْعَلَامَةُ أَبُو الْفَضْلِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْمِيدَانِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥١٨ هـ فِي تَأْلِيْفِهِ النَّفِيسِ (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ - ص ٣٣٥ ج ٢ ط مِصْرَ ١٣٤٢ هـ): قَالَ الْمَفْضَلُ أَوَّلُهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَأَرَادَ أَنْ يَعْبرَ عَلَى زَقٍ قَدْ نَفَخَ فِيهِ فَلَمْ يَحْسُنْ أَحْكَامَهُ حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ الْبَحْرَ خَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ فَغَرِقَ فَلَمَّا غَشِيَهُ الْمَوْتُ اسْتَعَاثَ بِرَجُلٍ فَقَالَ لَهُ: «يَدَاكَ أَوْكْنَا وَفُوكَ نَفَخْنَا، يَضْرِبُ لِمَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ الْحَيْنَ» وَكِي الْقُرْبَةِ: سَدَّهَا بِالْوَكَاءِ: رِبَاطُ الْقُرْبَةِ. أَنْظَرَ (فِرَائِدُ اللَّالِ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ - ص ٣٦٣ ج ٢ ط بِيْرُوتَ ١٣١٢ هـ) لَوْحِيدَ عَصْرِهِ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْأَحْدَبُ (الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٠٨ هـ). ج.

* قَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَحْمَدُ بْنُ خَلْكَانَ (الْمَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٦٨١ هـ عَنِ ٧٣ سَنَةٍ) فِي كِتَابِهِ النَّفِيسِ (وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ - ص ٦ ج ٢ ط مِصْرَ ١٣٥٥ هـ): وَاتَّقَنَ (يَعْنِي الْمِيدَانِيَّ) فَنَ الْعَرَبِيَّةَ خُصُوصًا لِلُّغَةِ وَأَمْثَالِ الْعَرَبِ. وَلَهُ فِيهَا التَّصَانِيفُ الْمَفِيدَةُ، مِنْهَا كِتَابُ (الْأَمْثَالِ) الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ مِثْلَهُ فِي بَابِهِ. ج.

[المكر والخدعة من الله، معنى الله يستهزئ بهم] فصل:

وذكر أبو جعفر- رحمه الله -^(١) في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٢)

(١) الاعتقادات ص ٢٥، التوحيد: ١/١٦٣ و ١٥٩-١٦٠/١.

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ إلخ (النساء: ١٤٢) سيأتي الأصل في آية: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ونوضح أنّ العرف من عرب وغيرهم يتمثلون في أغلب محاوراتهم استعارة بالعمل عن أشباهه وما على شاكلته فيقولون «نام فلان عن حقّه وتحمّز لحقّ غيره» فلا يخطر ببالهم الحزم والمنام المحسوسان، وإنّما يريدون أنّه يعمل عملاً يشبه بالنائم عن حقّ نفسه أو المتحمّز لخدمة غيره، كما يقال لمن قعد عن طلب نصيبه أو ضيّع فرصة متاحة: لقد كنت نائماً أو غائباً، وإن كان حاضراً واعياً، لأنّ عمله يشبه عمل النائم والغائب دون عمل الواعي الحاضر، كذلك الذين يتشبّهون لأهوائهم وشهواتهم بدسائس التّمويه والتّطلية والحيل الشرعيّة والتّزوير في التّسمية كأنّهم يمكرون ويخدعون الله، ثمّ إنّ الله تعالى في إسقاطهم على غرّة يشبه من يقابلهم بالمكر والخديعة في حين أنّه ليس مكرراً في الحقيقة، وإنّما هو تأديب بعد استدراج، وبعد إنذار واحتجاج، وبهذه المناسبة وصف الله بأنّه خير الماكرين وخادع المنافقين.

إنّ الماكرين أو الخادعين لا يعملون لغاية مقدّسة ولا يسبق منهم إنذار لمن في وجههم أو إعلامه لكنّما الله سبحانه يعمل لغاية قدسية كالتأديب، ويعمل بعد الإنذار والمواعيد لعلّهم يحدّرون ويتّقون، فهي وأشباهها بحسب الاصطلاح استعارة، لكنّ الشّيخين الجليلين حسبها من المجاز المرسل. ش.

و: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(١) و: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٢) و: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٣).

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٥٥.

(٣) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طغيانهم يعمهون﴾ (البقرة: ١٦) إن بلاء الظاهرية وأعني بهم الغلاة المتمسكين بالظواهر المأثورة ليس على الذين والمسلمين بأقل من بلاء الباطنية وأعني بهم الغلاة في التمسك ببواطن الآثار واعتبارهم ظواهر النقل العرفية قشوراً، وما هؤلاء وأولئك سوى طرفي إفراط وتفریط في الحقيقة، وأحرى بهم أن يعدلوا عن تطرفهم ويسلكوا مذهب التوسط والاعتدال، فإن للقرآن والحديث ظواهر مقصودة عند التخاطب مثل: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (البقرة: ٤٤) و ﴿أحل الله البيع وحرم الربا﴾ إلى آخره (البقرة: ٢٧٦) مجمعا عليها بالضرورة. كما أن في القرآن والحديث ألفاظاً لا يراد منها معانيها اللغوية الأصلية المبذولة، وإنما قصد منها معانٍ عرفية يتقبلها عُرف التخاطب على سبيل التجوز والتشبيه كآية: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ (البقرة: ٢٠) أو حديث: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه» فلا ترى العقلاء إلا مجتمعين على صرف هذه الألفاظ عن مفاهيمها اللغوية الأصلية إلى معانٍ تمثيلية رائجة الاستعمال في محاورات العُرف من كل أمة، فتجد العُرف يقولون «فلان نام عن ميراث أبيه وتخزّم لمنزعة السلطان» أي عمل شبيهه عمل الثائم أو شبيهه المتخزّم دون أن يقصد النوم الأصلي أو الخزام الحقيقي، قال الشاعر:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

وليس المشيب في الحقيقة إنساناً يضحك، لكنّه يعمل بالرجل شبه عمل الضاحك المستهزئ، وكذلك الله سبحانه يعمل بالظالمين عملاً يخيل للناظر البسيط غير المتعمق أنّه عمل المستهزئ بهم، لأنّه سبحانه يوسّع عليهم ابتداءً ويملى لهم ويمدهم في طغيانهم حتى إذا استمرّ طغيانهم وضاق الذرع بهم وبظلمهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر على حين غفلة وبدون مهلة، فيخال البسطاء أنّه سبحانه يستهزئ بهم أو يمكر في إذلالهم بعد الإعزاز وإسقاطهم بعد الإسعاد والإمداد، لكنّ الخواص من ذوي الألباب يعلمون أنّ إهمالهم بادئ بدء استدراج وإتمام حجة، ثمّ التثكيل بهم تأديب لهم وللبقية، ويشهد على هذا قوله بعدئذ: ﴿ويمدهم في طغيانهم...﴾ إلخ. ش.

أنّ العبارة بذلك كلّه [عن جزاء الأفعال] (١).

[قال أبو عبد الله] (٢): وهو كما قال إلاّ أنّه لم يذكر الوجه في ذلك، والوجه: أنّ العرب تسمّي الشيء باسم المجازي عليه للتعلّق فيما بينهما والمقارنة، فلمّا كانت الأفعال المجازي عليها مستحقّة لهذه الأسماء كان الجزاء مسمّى بأسمائها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (٣) فسمّى ما يأكلونه (٤) من الطّيّبات تسمية النّار وجعله ناراً، لأنّ الجزاء عليه النّار.

(١) في بقية النسخ: الجزاء على الأفعال.

(٢) ليست في بقية النسخ.

(٣) النساء: ١٠.

(٤) في المطبوعة: يأكلون.

[نسبة النسيان إلى الله]

فصل:

ذكر أبو جعفر - رحمه الله - ^(١): أن النسيان ^(٢) من الله تعالى يجري مجرى المخادعة منه للعصاة ^(٣)، وأنه سمي بذلك باسم المجازى عليه.

[قال أبو عبد الله ^(٤): والوجه فيه غير ذلك: وهو أن النسيان في اللغة هو التّرك والتأخير؛ قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ

(١) الاعتقادات ص ٢٦، التوحيد: ١/١٦٣ و ١٥٩-١/١٦٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (التوبة: ٦٧) قد سبق الأصل في تفسير أمثال هذه في آية: ﴿الله يستهزئ بهم...﴾ إلخ، وآيات أخرى أن ذلك وارد مورد تمثيل العمل وتشبيه الفاعل في ظاهر فعله كقولهم «فلان نام عن حقّه وتخرّم لحقّ غيره» وقولهم لمن أساء على من أحسنوا إليه «نسيته الجميل» في حين أنه غير ناس، لكنّه يعمل عمل الناسي أي الإساءة على المحسن نظير أنّخاذ البلغاء غير الجاحد جاحداً إذا وجدوه عاملاً عمل المنكرين؛ كقول الشاعر:

جاء شقيق عارضاً رحمه إن بني عمك فيهم رمحاح

وبالجملة: فالوجه الذي استقبلناه في تأويل الآيات هو الاستعارة، والوجه الذي استقبله الصدوق أبو جعفر (رض) أشبه بالمجاز المرسل، وأما تأويل النسيان إلى معنى التّرك كما أفاده الشيخ المفيد (رض) فمآله إلى الاشتراك اللفظي. ش.

(٣) في بقیة النسخ: العصاة.

(٤) ليست في بقیة النسخ.

مِثْلَهَا^(١) يريد ما ننسخ من آية نتركها على حالها أو نؤخرها^(٢)، فالمراد بقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا [إطاعة الله تعالى]^(٣)، وقوله: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ يريد به تركهم من ثوابه، وقوله تعالى: ﴿أَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾^(٤) أي: ألجأهم إلى ترك تعاهدها ومراعاتها بالمصالح بما شغلهم به من العقاب. فهذا وجهه وإن كان ذلك أيضاً وجهاً غير منكر، والله وليّ التوفيق.

(١) البقرة: ١٠٧.

(٢) أنظر (مجمع البيان * - ص ١٨٠ - ١٨١ ج ١ ط صيدا) لإمام المفسرين الشيخ أبي علي الطبرسي

قدّس سره. ج.

(٣) «أ» «ح» «ز» «ق»: طاعته.

(٤) الحشر: ١٩.

* أنظر المقال القيم الذي دجه يراع العلامة المحقق فضيلة الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين بمصر، حول تفسير مجمع البيان لإمام المفسرين الشيخ الطبرسي - ره - في العدد الأول من مجلة (رسالة الإسلام - ص ٦٣ - ٦٩ ط القاهرة ربيع الأول ١٣٧٠ هـ) لستها الثالثة، تلك المجلة الزاهرة الوحيدة التي تصدر عن (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) بمصر المحمية، قال الأستاذ في ص ٦٦ من العدد المذكور: «هذا الكتاب الجليل الذي تعني هذه الأيام (جماعة الأزهر للنشر والتأليف) التي أشرف برئاستها، بالعمل على نشره نشرًا علميًا محققًا بكل معنى الكلمة - إلى أن قال - وأنه لا يمنع هذه الجماعة من المضي سريعاً فيما اعتمت وقررت إلاّ بعض الصعاب التي نرجو أن تتغلب عليها إن شاء الله بمعونة من يرجى منهم العون من كبار العلماء المعنيين بإحياء التراث الإسلامي المجيد، والله هو الموفق لكل خير، الهادي إلى سواء السبيل»^١. ج.

[صفات الله (١)]

فصل: في صفات الذات وصفات الأفعال

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله -: كل ما وصفنا الله تبارك و تعالى به من

(١) إذا توسعنا في تدقيق صحائف الكتاب والسنة حتى التوسع لم نجد هذا التقسيم الاصطلاحي: أي تقسيم صفات الله إلى صفات الذات، وصفات الفعل، وصفات النقص، وبعبارة أخرى: الكمالية والجلالية والتنزيهية، أو بحسب المشهور الصفات الثبوتية والزائدة والسلبية. نعم، نجد المنشأ الحقيقي لهذا التقسيم الثلاثي موجوداً في القرآن والحديث، وهو أن الصفات بعضها ثابتة لله سبحانه بوجه عام، من دون استثناء وقت أو فرد كالعلم، فإنه - عز شأنه - بكل شيء عليم؛ عليم في كل أين وأين، وفي كل مكان وزمان، لم يزل عالماً بكل شيء ولا يزال. والقسم الثاني من المعاني منفية عن الله كذلك منفية بوجه عام وبدون استثناء وقت أو مقام كالظلم، فلا يظلم ربك أحداً، فكما أن العلم ثابت له ولا يزال، كذلك الظلم منفي عنه على الإطلاق في كل حال.

والقسم الثالث من صفات الله وسط بين القسمين، فلا هو كلي الثبوت، ولا هو كلي السلب؛ مثل الإرادة، فإنها قد تثبت لربنا - عز وجل - بالنظر إلى شيء، وقد تنتفي عنه بالنظر إلى شيء آخر، كما في آية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٦) ومتى كان المعنى يستحق الثبوت تارة ويستحق النفي أخرى فهو غير ضروري الإيجاب، كما هو غير ضروري السلب.

هذه ثلاثة أقسام في صفات الله يمتاز كل منها عن البقية بحسب ظواهر الكتاب والسنة، بل وبحسب ضرورة العقل أيضاً؛ إذ كل وصف قيس إلى ذات؛ فإما أن يكون ضروري الثبوت لها، أو يكون ضروري السلب عنها، أو يكون غير ضروري الثبوت للذات كما هو غير ضروري السلب عنها، الأمر الذي دعا شيوخ أسلافنا إلى القسمة الثلاثية في صفات الله وتسميتهم القسم الأول بصفات الذات أو الثبوتية. والقسم الثاني بصفات التنزيهية أو السلبية. والقسم الثالث بصفات الفعل أو الزائدة، ويريدون بالفعل ضد الشأن، وإن كان الأنسب عندنا تسمية الأقسام بالذاتية والنسبية والسلبية. ش.

صفات ذاته (١).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: صفات الله تعالى على ضربين:
أحدهما: منسوب إلى الذات، فيقال: صفات الذات.

وثانيهما (٢): منسوب إلى الأفعال، فيقال: صفات الأفعال، والمعنى في قولنا صفات الذات: أن الذات مستحقة لعناها استحقاقاً لازماً لا معنى سواها، ومعنى صفات الأفعال: هو أنها تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده، فصفات الذات لله تعالى هي الوصف له بأنه حي، قادر، عالم ألا ترى أنه لم يزل مستحقاً لهذه الصفات ولا يزال. ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق، رازق، محيي، يميت، مبدئ، معيد، ألا ترى أنه قبل خلقه الخلق لا يصح وصفه بأنه خالق وقبل إحيائه (٣) الأموات لا يقال إنه محيي. وكذلك القول فيما عددناه، والفرق بين صفات الأفعال و صفات الذات: أن صفات الذات لا يصح لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوة منها، وأوصاف الأفعال يصح الوصف لمستحقها بأضدادها وخروجه عنها، ألا ترى أنه لا يصح [وصف الله] (٤) تعالى بأنه يموت، ولا [بأنه يعجز، ولا بأنه يجهل] (٥) ولا يصح الوصف له بالخروج عن كونه حياً عالماً قادراً، ويصح الوصف بأنه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محيي لميت بعينه، ولا مبدئ لشيء في هذه الحال، ولا معيد له. ويصح الوصف له - جل وعز - بأنه يرزق ويمنع ويحيي ويميت ويبدئ ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة في أوصاف الذات وأوصاف الأفعال (٦)، والفرق بينهما ما ذكرناه.

(١) الاعتقادات ص ٢٧.

(٢) «أ» «ح» «ش» «ق»: والضرب الآخر، «ز»: والآخر.

(٣) «أ» «ز» «ش»: إحياء.

(٤) «ز»: وصفه، «ق»: الوصف لله.

(٥) «ح» «ز»: يعجز ولا يجهل، «أ» «ق»: يعجز ويجهل.

(٦) «أ» «ح» «ز» «ش»: الفعل.

[خلق أفعال العباد]

فصل: في أفعال العباد

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يزل عالماً بمقاديرها (٢٠١).

قال الشيخ أبو عبد الله - رحمه الله -: (٣) الصحيح عن آل محمد عليهم السلام: أن أفعال العباد (٤) غير مخلوقة لله تعالى، والذي ذكره أبو جعفر - رحمه الله - قد جاء به حديث غير معمول به ولا مرضي الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس يعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له، ولو كان ذلك كما قال

(١) الاعتقادات ص ٢٩.

(٢) عنه في البحار ٥: ١٩ / ٢٩. وراجع معاني الأخبار: ٣٩٦، بحار الأنوار ٥: ٣٠٠ الحديث ٣٧، ٣٨.

(٣) تبع الشيخان الجليلان جمهور المتكلمين في إفراد بحث الجبر عن بحث خلق الأفعال، وعن مبحث الهدى والضلال، مع أن الجميع فروع من نظرية الجبر، ومن فاز بحل مشاكل هذه الأخيرة فاز بالنجاة من صعوبات البقية. ش.

(٤) إن لهذا البحث وبيان المقصود منه تقريراً من وجهين: كلامي، ونفسي؛ أما النفسي - وهو المقصود لدى الفلاسفة وعلماء التربية - فهو أن الإنسان في أفعاله - وفي مقدمتها الطلب والإرادة - هل هو حر مختار ومستقل في إيجاد أفعاله؟ أو هو مجبور باقتضاء العوامل الأخرى المتصرف فيها من الداخل والخارج؟ فإن اختلاف التربية والتهديب يؤثران بالحس والتجربة على الإنسان في اختلاف إرادته ومطالبه وتكييف أحواله وإصدار أعماله، وهذا البحث يختلف عن

المخالفون للحق^(١) لوجب أن يكون من علم النبي ﷺ فقد خلقه، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرره في نفسه لوجب أن يكون خالقاً له، وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعية الأئمة - عليهم السلام - فضلاً عنهم.

فأما التقدير؛ فهو الخلق في اللغة، لأنَّ التقدير لا يكون إلا بالفعل، فأما بالعلم فلا يكون تقديراً ولا يكون أيضاً بالفكر، والله تعالى متعالٍ عن خلق الفواحش والقبايح على كلِّ حال^(٢).

وقد روي عن أبي الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى الرضا - صلوات

عنه المبحث الكلامي الآتي ذكره اختلافاً واضحاً وإن خفي على الجمهور.

وأما البحث الكلامي - وهو المبحث عنه لدى علماء الكلام وزعماء الطوائف الإسلامية، ولا يزالون مختلفين فيه - فهو أنّ الإنسان - وإن بلغ رشده وأشدّه وخوطب بالتكاليف الإلهية - هل هو مختار في أفعاله، حرّ في إرادته، مستقلّ في الطلب؟ أو أنّ الله تعالى هو الخالق في الحقيقة لجميع ما يصدر من الإنسان في الظاهر، وهو كآلة صماء في أداء ما يجري على يديه من أفعال خالقه، فعلى هذا يكون الإنسان فاعلاً بالمجاز في كلّ ما يُنسب إليه من أفعاله مباشرة، وإنّما يكون المنسوب إليه حقيقة هو الله تعالى وحده، وهذا الوجه يشترك مع الوجه السابق عليه في سلب اختيار العبد واضطراره في أفعاله طرّاً، وهما بناءً عليه يستلزمان الجبر معاً، ويُسمّى البحث الكلامي بحث الجبر الديني، كما يُسمّى البحث النقسيّ بحث الجبر التكويني، والفرق بينهما يبدو من وجوه أهمّها أنّ المنسوب إليه في الجبر الديني إنّما هو الله وحده، وهو الذي أمر بالحسنات ويثيب بحسبها، وهو الذي نهى عن السيئات ويُعاقب عليها، وفي صورة كهذه يصعب جداً تصور الإيمان بعدالة من أجرى على يدك السيئات وهو في نفس الوقت مواخذك بها ومعاقبك عليها، نعم إنّ الجبر التكوينيّ يقضي أيضاً باضطرار العبد فيما يأتيه، غير أنّه يجعل مصادر الحسنات والسيئات غير مصدر الثواب والعقاب. ش.

(١) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

الله عليهم -: أنه سئل عن أفعال العباد، فقيل له: [هل هي] ^(١) مخلوقة لله تعالى؟ فقال - عليه السلام -: لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها. وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ^(٢) ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وعبادتهم ^(٣).

وسأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر - عليها السلام - عن أفعال العباد ممن هي؟ فقال له أبو الحسن - عليه السلام -: إنَّ [أفعال العباد] ^(٤) لا تخلو من ثلاثة منازل: إما أن تكون من الله تعالى خاصة، أو من الله ومن العبد على وجه الاشتراك فيها، أو من العبد خاصة، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسننها والذم على قبحها، ولم يتعلّق بغيره حمد ولا لوم فيها، ولو كانت من الله ومن العبد لكان الحمد لهما معاً فيها والذم عليهما جميعاً فيها، وإذا بطل هذان الوجهان ثبت أنّها من الخلق، فإن عاقبهم الله تعالى على جنايتهم بها فله ذلك، وإن عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وفي أمثال ما ذكرناه من الأخبار ومعانيها ما يطول به الكلام.

فصل:

وكتاب الله تعالى مقدّم على الأحاديث ^(٥) والروايات، وإليه يُتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه.

(١) «أ» «ح» «ق» «ش»: أي.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) بحار الأنوار ٥: ٢٠.

(٤) «ق»: الأفعال.

(٥) «ز»: الأخبار.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١) فخبّر بأن كل شيء خلقه فهو حسن غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لنا في ذلك حكمه بحسنها، وفي حكم الله تعالى بحسن جميع ما خلق شاهد يبطلان قول من زعم أنه خلق قبيحاً^(٢).

وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾^(٣) فنفي التّفَاوُتِ عن خلقه^(٤)، وقد ثبت أن الكفر والكذب متفاوت في نفسه، والمتضاد^(٥) من الكلام متفاوت! فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنه خالق لأفعال العباد و في أفعالهم من التّفَاوُتِ والتّضاد^(٦) ما ذكرناه مع قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فنفي ذلك وردّ على مضيفه^(٧) إليه وأكذبه فيه.

(١) السّجدة: ٧.

(٢) ليس هذا الكلام وحده ولا هذه الآية وحدها شاهد الفئمة العدلية وشيخها الشّارح - طاب ثراه - عند إبطاله لنظرية الجبر وتصحيحه لإسناد أفعال العباد إلى أنفسهم؛ إذ كل آية نزّهت ربنا سبحانه عن الشّرور وخلق الآثام تؤيّد، وكذلك الدلائل التي قضت بأن الشّرور أمور سلبية غير ثابتة في متن الأعيان ولا مبدأ لها ولا علّة تقوي أيضاً كلام الشيخ - طاب ثراه - وكذلك القياسات التي أقامها علماء اللاهوت بغرض إثبات أن المبدأ الأوّل (واجب الوجود) مصدر كلّ خير و جُود، ولا ولن يرى شرّما من ناحيته القدسيّة. ش.

(٣) الملّك: ٣.

(٤) يجوز أن يكون الخلق هنا مصدراً مرادفاً للإيجاد لا اسم مصدر مرادفاً للموجود؛ كما ذكر في المتن، فيكون المراد - والله أعلم - أنه سبحانه لا يتفاوت عليه خلق الأشياء صغيرها من كبيرها، أو حقيرها من خطيرها، أو قليلها من كثيرها، ولا يلزم من العدول عن تفسير الشيخ - قدس سرّه - وهن ما في أصل رأيه. ش.

(٥) «ق» «ش»: والتّضاد.

(٦) ليست في بقية النسخ.

(٧) «ق»: من يضيفه.

فصل: في الفرق بين الجبر و التقويض

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - ^(١): لا جبر ولا تقويض ^(٢)، بل أمر بين أمرين ^(٤).

وروى في ذلك حديثاً مرسلأ قال: فقيل: وما أمرٌ بين أمرين؟ قال: مثل رجل رأته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية.

قال الشيخ المفيد - عليه الرحمة -: الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقهر ^(٥) والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق ^(٦) من غير أن يكون لهم ^(٧) قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء أنه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدمناه، وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه، لأنهم يزعمون [كان

(١) الاعتقادات ص ٢٩.

(٢) الكافي ١: ١٦٠ / ١٣، التوحيد: ٨ / ٣٦٢، وعنه في البحار ٥: ١٧ / ٢٨.

(٣) «ح»: ولكن.

(٤) «أ» «ش»: الأمرين.

(٥) في بعض النسخ: بالقسر.

(٦) «ش» «ق»: الحي.

(٧) «ش» «ق»: له.

مذهب الجبر هو قول من يزعم^(١) [أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها، وخلق فيه المعصية كذلك، فهم المجبرة حقاً] والجبر مذهبهم على^(٢) التحقيق^(٣).

والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أن الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم [ونهاهم عن]^(٤) القبائح بالزجر والتخويف، والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها. فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيّناه.

(١) ليست موجودة في بقية النسخ، وإنما هي من المطبوعة.

(٢) في بعض النسخ: والجبرية مذهبهم في.

(٣) أنظر (الدلائل والمسائل - ص ٦٢ - ٦٣ ج ١ ط بغداد) العلامة الشهرستاني. ج.

(٤) في بعض النسخ: ومنعهم من.

فصل: في الإرادة والمشية

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - (٢٠١) نقول: شاء الله وأراد (٣) ولم يجب ولم

(١) الاعتقادات ص ٣٠.

(٢) عنه في البحار ٥: ٩٠ - ٩١/١.

(٣) هذا الفصل من فروع بحث الإرادة، وقد استحق من المتكلمين عناية وعنواناً مفرداً على أثر الاختلاف العظيم بين العلماء وزعماء المذاهب في المشية الإلهية المذكورة في آيات الذكر الحكيم متعلقة بأمور غير مرضية لديه سبحانه، ثم في تأويلها بوجوه لا تخلو عن التكلف في الأكثر، وأهمها آية الأنعام: ١٤٨ ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تبعمون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ ثم آية الزخرف: ٢٠ ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ وآيات كثيرة توهم تعلق إرادة الخالق بها يستقبحة المخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما السلف الصالح من آل محمد؛ فلا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق في الإصرار على تنزيه الرب سبحانه وتقدس عن كل ما هو قبيح أو شبه قبيح وشدة استنكارهم تعلق مشيئة الله أو إرادته بشرك أو ظلم أو فاحشة قط، فضلاً عن فعله أو خلق فعله أو الأمر به؛ إذ كل ذلك عندهم خلاف حكمته وعدله وفضله، كذلك الحسنيات العامة في البشر تجل ذوي العدل والفضل عن التمدح بإرادة القبائح، فكيف ترمي بها الحرم الإلهي.

أما الجواب عن الآيتين فبأن المقالة فيها عن لسان المشركين، ومقالة المشركين من شأنها أن تورد للرد عليها لا للأخذ بها، فالآيتان إذن حجتان لأهل العدل لا عليهم، ولا سيما بعد اشتغالها على ذم القائلين بهذه المقالة ونسبتهم إلى التخرف والجهالة. ش.

يرض، وشاء - عز اسمه - ألا يكون شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك^(١).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - في هذا الباب لا يتحصّل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميّز بين الحقّ منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجّة، ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه^(٢). والحقّ في ذلك: أن الله تعالى لا يريد

(١) الكافي ١: ١٥١/٥، التوحيد: ٩/٣٣٩.

(٢) ذهب أنظار العلماء مذاهب شتى في الإرادة والمشيئة المذكورتين في بعض الآيات، فمن قائل إنّ الإرادة أزلية وعين ذاته سبحانه ومتعلقاتها حوادث تتجدّد بتجدّد العلاقات الوقتية، فالمشرك بالله اليوم لم تتعلّق بهدايته إرادة الله في الأزل بخلاف المؤمن الذي قد تعلّقت بهدايته الإرادة الأزلية. وقائل آخر: إنّ الإرادات الربانية تتجدّد بتجدّد الكائنات والحوادث، أو أن إرادته (بالأحرى) هي الخلق ما ظهر منه وما بطن، وما قبح منه أو حسن، وثالث في القوم يرى الإرادة والمشيئة عبارتين عن الداعي إلى الفعل أو الداعي إلى تركه، ولا يكون الداعي الإلهي إلا حسناً وصالحاً فيريد اليسر ولا يريد العسر، ويشاء الإيمان ولا يشاء الكفر، ورابع فيهم لا يرى الإرادة والمشيئة شيئاً سوى العلم بالمصلحة أو العلم بالمفسدة، غاية الأمر مصلحة خاصّة ومفسدة مخصوصة، وقد فصلت أقوالهم وأدلتهم في الكتب الكلامية، وما خلاهم هذا إلا فرعاً من اختلافهم في أصل الإرادة الإلهية.

وجدير بالمرء أن يقنع في هذه الورطة باعتقاد: أن الله سبحانه مرید فقط ولا يريد شيئاً من السيئات والقبائح قط، دون أن يتعمّق في كُنه الإرادة والمشيئة، هذا ما يقتضيه العقل والعدل وتقضي به ظواهر الكتاب والسنة، فكلّما صادفته آية أو رواية مخالفة لهذا الاعتقاد لجأ إلى تأويلها تأويلاً مناسباً لأصول البلاغة واللغة ومتفقاً مع المذهب، وخير كتاب يسكن النفس ويروي الغليل في هذا المقام كتاب «متشابه القرآن ومختلفه» للعالم الثقة محمّد بن شهر آشوب السروي - روج الله روحه.

إلا ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلا الجميل من الأعمال ولا يريد القبائح ولا يشاء الفواحش، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٣) الآية.

وقال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا

وقال العلامة الإمام حجة العلم والدين السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي - مذهب - في رسالته النفيسة (إلى المجمع العلمي العربي بدمشق - ص ٥٠ - ٥٢ ط صيدا) ما نصه: وكفى في فضل ابن شهر آشوب إذعان الفحول من أعلام أهل السنة له بجلالة القدر وعلو المنزلة، وقد ترجمه الشيخ صلاح الدين الصفدي خليل بن أيبك الشافعي، فذكر أنه حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، (قال): وكان يُرحل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو وعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وقال: وكان بهي المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، ملبح المحاور، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجّد، لا يكون إلا على وضوء «قال»: وأثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناءً كثيراً، توفي سنة ٥٨٨.

وذكره الفيروز آبادي في محكي بلغته، وأثنى عليه بما يقرب من ثناء الصفدي، وذكر أنه عاش مائة سنة إلا عشرة أشهر.

وعن بعض أهل المعاجم في التراجم من أهل السنة أنه قال في ترجمته: وكان إمام عصره، ووحيد دهره، أحسن الجمع والتأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث، وهو عند الشيعة كالمخطيب البغدادي لأهل السنة في تصانيفه وتعليقات الحديث ورجاله ومراسيله، ومتفق عليه ومتفرقة إلى غير ذلك من أنواعه، واسع العلم، كثير الفنون، مات في شعبان سنة ٥٨٨ هـ. ج.

(١) المؤمن: ٣١.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) النساء: ٢٦.

مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢) فخبّر سبحانه أنه لا يريد بعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنه يريد لهم البيان ولا يريد لهم الضلال، ويريد التخفيف عنهم ولا يريد التثقيل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم والتخفيف عنهم واليسر لهم، وكتاب الله تعالى شاهد بضد ما ذهب إليه الضالون المفترون على الله الكذب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فأما ما تعلقوا به من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (٣) فليس للمجبرة به تعلق ولا فيه حجة من قبل أن المعنى فيه أن من أراد الله تعالى أن ينعمه ويشبهه جزاء على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطف التي يحبوه بها، فييسر له بها استدامة أعمال الطاعات، والهداية في هذا الموضع هي النعيم (٤).

قال الله تعالى فيما خبّر به عن أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (٥) الآية، أي: نعمنا به وأثابنا إياه، والضلال في هذه الآية هو العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٦) فسمى الله تعالى العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أن الضلال هو الهلاك والهداية هي النجاة.

(١) النساء: ٢٧.

(٢) النساء: ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

(٤) في بعض النسخ: التنعيم.

(٥) الأعراف: ٤٣.

(٦) القمر: ٤٧.

قال الله تعالى حكاية عن العرب: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) يعنون إذا هلكنا فيها وكان المعنى في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ ما قدّمناه وبيّناه، ﴿وَمَنْ يرد أن يضلّه﴾ ما وصفناه، والمعنى في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ يريد سلبه التوفيق عقوبة له على عصيانه ومنعه الألفاظ جزاءً له على إساءته، فشرح الصدر ثواب الطاعة بالتوفيق، وتضييقه عقاب المعصية بمنع التوفيق، وليس في هذه الآية على ما بيّناه شبهة لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أن الله تعالى يضلّ عن الإيمان، ويصدّ عن الإسلام، ويريد الكفر، ويشاء الضلال.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾^(٢) فالمراد به الإخبار عن قدرته، وأنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً، لكنّه شاء تعالى منهم الإيمان على الطّوع والاختيار، وآخر الآية يدلّ على ما ذكرناه وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) يريد أنه قادر على إكراههم على الإيمان، لكنّه لا يفعل ذلك، ولو شاء لتيسر عليه، وكلّ ما يتعلّقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيّناه، وفرار المجترة من إطلاق القول بأنّ الله تعالى يريد أن يعصى ويكفر به، ويقتل أولياؤه، ويشتم أحبّاءه إلى القول بأنّه يريد أن يكون ما علم كما علم، ويريد أن تكون معاصيه قبائح منهياً عنها، وقوع فيها هربوا منه، وتورّط فيها كرهوه، وذلك أنه إذا كان ما علم من القبيح كما علم

(١) السجدة: ١٠.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) يونس: ٩٩.

وكان تعالى مريداً لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه وهربهم من معنى إلى عينه، فكيف يتم لهم ذلك مع أهل العقول، وهل قولهم هذا إلا كقول إنسان: أنا لأسب زيدا لكنني أسبّ أبا عمرو، وأبو عمرو هو زيد، أو كقول اليهود إذ قالوا سخريّة بأنفسهم: نحن لا نكفر بمحمد ﷺ لكننا نكفر بأحمد، فهذا رعونة وجهل ممن صار إليه، وعناء وضعف عمل^(١) ممن اعتمد عليه.

[تفسير آيات القضاء والقدر]

فصل: فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في القضاء والقدر

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - في القضاء والقدر: الكلام في القدر منهي عنه، وروى حديثاً لم يذكر له إسناداً^(١).

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد - عليه الرحمة -^(٢): عوّل^(٤) أبو جعفر - رحمه الله - في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه يعرفها العلماء متى صحّت وثبت إسنادها ولم يقل فيه قولاً محصلاً، وقد كان ينبغي له لما لم يكن يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه، والقضاء معروف في اللغة وعليه شواهد من القرآن، فالقضاء على أربعة أضرب: أحدها: الخلق، والثاني: الأمر، والثالث: الإعلام، والرابع: القضاء [في الفصل بالحكم]^(٥).

فأما شاهد القضاء في معنى الخلق فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ - إِلَى قَوْلِهِ -: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٦) يعني خلقهن سبع سموات في يومين.

(١) الاعتقادات ص ٣٤.

(٢) التوحيد: ٣٦٥.

(٣) عنه في البحار ٥: ٩٧/٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٤) في بقية النسخ: عمل.

(٥) في بعض النسخ: بالفصل في الحكم.

(٦) فصلت: ١١، ١٢.

وأما شاهد القضاء في معنى الأمر فقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١) يريد أمر ربك.

وأما شاهد القضاء في الإعلام فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) يعني أعلمناهم ذلك وأخبرناهم به قبل كونه.

وأما شاهد القضاء بالفصل^(٣) بالحكم بين الخلق فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(٤) [يعني يفصل بالحكم]^(٥) بالحق بين الخلق وقوله: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾^(٦) يريد وحكم بينهم بالحق، وفصل بينهم بالحق.

وقد قيل إن للقضاء وجهاً خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف - عليه السلام -: ﴿قَضَىٰ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٧) يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق، وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرة أن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه، لأنه لا يخلو إما أن يكونوا يريدون به أن الله خلق العصيان في خلقه، فكان يجب أن يقولوا قضى في خلقه^(٨) بالعصيان ولا يقولوا قضى عليهم، لأن الخلق فيهم لا عليهم، مع أن الله تعالى قد أكذب من زعم أنه خلق المعاصي^(٩) لقوله^(١٠) سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(١١) فنفي عن خلقه القبح وأوجب له الحسن، والمعاصي قبائح بالاتفاق، ولا وجه لقولهم قضى بالمعاصي^(١٢) على معنى أنه أمر بها، لأنه تعالى قد

(١) بني إسرائيل: ٢٣.

(٢) بني إسرائيل: ٤.

(٣) في المطبوعة: في الفصل.

(٤) غافر: ٢٠.

(٥) «ق»: أي يحكم بينهم.

(٦) الزمر: ٦٩.

(٧) يوسف: ٤١.

(٨) «ز»: الخلق.

(٩) بحار الأنوار ٥: ٩٨.

(١٠) في بقية النسخ: بقوله.

(١٢) في بقية النسخ: المعاصي.

(١١) السجدة: ٧.

أَكْذِبَ مَدْعَىٰ ذَٰلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ولا معنى لقول من زعم أنه قضى بالمعاصي على معنى أنه أعلم الخلق بها إذا كان الخلق لا يعلمون أنهم في المستقبل يطيعون أو يعصون ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل، ولا وجه لقولهم إنه قضى بالذنوب على معنى أنه حكم بها^(٢) بين العباد، لأن أحكامه^(٣) تعالى حق والمعاصي منهم^(٤) ولا لذلك فائدة وهو لغو بالاتفاق، فبطل قول من زعم أن الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيناه في معناه أن الله تعالى في خلقه قضاءً وقدرًا وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدرًا معلوماً ويكون المراد بذلك أنه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له، والقدر منه سبحانه فيما فعله^(٥) إيقاعه في حقه و موضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب، لأن ذلك كله واقع موقعه، موضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً، فإذا فسّر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بها شرحناه زالت الشبهة منه، وثبتت الحجّة به، ووضح^(٦) الحقّ فيه لذوي العقول، ولم يلحقه فساد ولا إخلال.

(١) الأعراف: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٩٩.

(٣) (أ) «ح» «ز» «ق» «ش»: أحكام الله.

(٤) «ش» «ق»: فيهم.

(٥) بحار الأنوار ٥: ٩٩.

(٦) «ش» «ق»: وصحّ.

[تفسير أخبار القضاء والقدر]

فأما الأخبار التي رواها أبو جعفر - رحمه الله - ^(١) في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون النهي خاصاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم في عبادتهم إلا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافة المكلفين، وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبّر ^(٢) الأئمة - عليهم السلام - أشياءهم في الدين بحسب ما علموه ^(٣) من مصالحهم فيه.

وثانيهما ^(٤): أن يكون النهي عن الكلام في القضاء والقدر النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد ^(٥)، وعن القول في علل ذلك إذا كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً، لأنّ الله تعالى سترها عن أكثر خلقه، ألا ترى أنّه لا يجوز لأحد أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات فيقول لم خلق كذا وكذا؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها، ولا يجوز أن يقول: لِمَ أمر بكذا؟ أو تعبّد بكذا؟ ونهى عن كذا؟ إذ تعبّد بذلك وأمره لما هو أعلم به

(١) عنه في البحار ٥: ١٩٦: ١ - ٨.

(٢) «ق»: وقد أمر.

(٣) «ق»: علموا.

(٤) في بقية النسخ: والوجه الآخر.

(٥) بحار الأنوار ٥: ٩٩.

من مصالح الخلق ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل علل ما خلق وأمر به وتعبد، وإن كان قد أعلم في الجملة ^(١) أنه لم يخلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع.

فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ^(٢) وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ ^(٣) وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ^(٤) يعني بحق ووضعه في موضعه وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(٥) وقال فيما تعبد به: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ ^(٦).

وقد يصحّ أن يكون الله تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه ^(٧) بأنه يؤمن عند خلقه كفاراً، أو يتوب عند ذلك فساق، أو ينتفع به مؤمنون، أو يتعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء وذلك مغيب عنّا، وإن قطعنا في الجملة أنّ جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكيمة ^(٨) ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبدنا بالصلاة لأنها تقرّبنا من طاعته وتبعّدنا عن ^(٩) معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافة المتعبدين بها أو لبعضهم، فلمّا خفيت هذه الوجوه ^(١٠) وكانت مستورة عنّا ولم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو نهي عن طلب علل لها مفصلة، فلم يكن نهياً عن

(١) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

(٣) المؤمنون: ١١٥.

(٥) الذّاريات: ٥٦.

(٧) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

(٩) «ق» «ش»: من.

(٢) الأنبياء: ١٦.

(٤) القمر: ٤٩.

(٦) الحج: ٣٧.

(٨) «أ» «ق»: حكيمة، «ح» «ش»: حكيمته.

(١٠) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

الكلام في معنى القضاء والقدر.

هذا إن سلمنا^(١) الأخبار التي رواها^(٢) أبو جعفر - رحمه الله.

فأما إن بطلت أو اختلفت سندها فقد سقط عنا^(٣) عهدة الكلام فيها.

والحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيد للقول بالعدل^(٤) ودال على فساد القول بالجبر، ألا ترى إلى ما رواه عن أبي عبد الله - عليه السلام -^(٥) من قوله: «إذا حشر الله تعالى الخلائق سألمهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم» وقد نطق القرآن بأن الخلق مسؤولون عن أعمالهم^(٦)، فلو كانت أعمالهم [بقضاء الله]^(٧) تعالى لما سألمهم عنها، فدل على أن قضاء الله تعالى ما خلقه من ذوات العباد وفيهم وأنه تعالى لا يسألهم إلا عن أعمالهم التي عهد إليهم فيها، فأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، وهذا الحديث موضح لمعنى القضاء والقدر، فلا وجه [للقول حيثئذ بأنه]^(٨) لا معنى للقضاء والقدر معقول؛ إذ كان بيناً حسبما ذكرناه.

(١) في بقية النسخ: سلمت.

(٢) «ح» «ش»: عنها.

(٥) التوحيد: ٣٦٥.

(٧) «ق»: بقضائه.

(٢) «ح» «ق»: أوردتها.

(٤) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

(٦) بحار الأنوار ٥: ١٠٠.

(٨) «ق»: لقول من زعم أنه.

[معنى فطرة الله]

قال أبو جعفر - رحمه الله - ^(١) في معنى الفطرة: إن الله تعالى فطر [جميع الخلق] ^(٢) على التوحيد ^(٣).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: ذكر أبو جعفر - رحمه الله - الفطرة ولم يبين معناها! وأورد الحديث على وجهه ولم يذكر فائدته، والمعنى في قوله - عليه السلام - فطر الله الخلق، أي: ابتدأهم بالحدوث، والفطرة هي الخلق.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(٤) يريد به خالق السموات والأرض على الابتداء والاستقبال، وقال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ^(٥) يعني خلقته التي خلق الناس عليها [وهو معنى] ^(٦) قول الصادق - عليه السلام -: فطر الله الخلق على التوحيد، أي: خلقهم للتوحيد وعلى أن يوحدوه، وليس

(١) عنه في البحار ٥: ١٩٦/١-٨.

(٢) «ق»: الخلائق.

(٣) الاعتقادات ص ٣٦.

(٤) الملائكة: ١.

(٥) الزوم: ٣٠.

(٦) «ق»: والمعنى في.

المراد به أنه [أراد منهم] ^(١) التوحيد، ولو كان الأمر كذلك ما كان مخلوق إلا موحداً، وفي وجودنا من المخلوقين من لا يوحد الله تعالى دليل على أنه لم يخلق التوحيد في الخلق، بل خلقهم ليكتسبوا التوحيد!

وقد قال تعالى في شاهد ما ذكرناه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(٢) فبيّن أنه إنّما خلقهم لعبادته.

وقد روي عن النبي ﷺ رواية تلقاها العامة والخاصة بالقبول، قال: كل مولود يولد فهو على الفطرة، وإنّا أبواه يهودانه أو ينصرانه ^(٣). وهذا أيضاً مبين عن صحّة ما قدّمناه من أنّ الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه، وفطرهم ليوحدوه، وإنّا أتى الضالّون من قبل [أنفسهم و] من أضلّهم من الجنّ والإنس دون الله

(١) «ق»: خلق فيهم.

(٢) الذّاريات: ٥٦.

(٣) قال العلامة الشهرستاني في مجلّة (المرشد - ص ٢٦ - ٢٧ ج ١): الفطرة هي ما يقتضيه الشّيء لو خلّي ونفسه وبدون مانع، فإذا قيل: «الصدق فطريّ في البشر» معناه أنّ الإنسان لو خلّي ونفسه فإنّ حالته الفطرية تقتضي أن يصدق كلامه، وهذه الفطرة قد تدوم فيه كما هو الغالب، وقد تزول عنه بما نفع أقوى فيلتجئ إلى الكذب، كما أنّ القاتل: سقوط الحجر إلى الأرض طبيعيّ، معناه: أنّ الحجر المتحرّك حول الأرض لو خلّي ونفسه فحكمه السقوط إلى الأرض، وهذا لا يمنع أن يتخلّف عن طبيعته لعارض وبسبب قاسر.

وعليه فكون دين الإسلام فطريّاً في البشر لا ينافي وجود سبب عارض يقسره يوماً على مخالفته الفطرة، وبعبارة فنيّة «إنّ الفطرة اقتضاء لا ضرورة» كما يصرّح بذلك حديث «كلّ مولود يولد على الفطرة، وإنّا أبواه يهودانه وينصرانه».

وأما معنى فطرية دين الإسلام؛ فالسّراجح أنّه بعنوانه المجموعيّ، أي إنّ الإسلام إذا قيس إلى أيّ دين آخر كان هو دين الفطرة دون غيره - كما أشار إليه الحديث النبويّ المتقدّم.

ومّا يريك دين الإسلام بلباسه الفطريّ، أنّ حقيقة الإسلام هو أن يسلم المرء أمره إلى

تعالى، والذي أورده أبو جعفر في بيان...^(١) الله الخلق وهدايتهم إلى الرشد على ما ذكر وقد أصاب في ذلك وسلك الطريقة المثلى فيه وقال ما يقتضيه العدل ويدل عليه العقل، وهو خلاف مذهب المجبرة الراديين على الله فيما قال والمخالفين في أقوالهم دلائل العقول.

﴿خالقه وأن يسالم المخلوقين، وهل هنا إلا قضية الفطرة.

قال سبحانه: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ (النساء: ١٢٥) أي: المسلم لله والمسالم لعباده.

وقال نبي الإسلام ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه».

ثم إن الإسلام بني على توحيد الله في ذاته وصفاته وتوحيده في عبادته وعبادته، وهل هذا إلا الفطرة، وأسس شرعه على العدل والإحسان والفضيلة والمحبة، وكلها أحكام الفطرة.

فالإسلام بهذا المعنى دين الفطرة وشرع الحقيقة، وهذا المعنى هو دين الله الحقيقي، وهو أقدم شرائع البشر من عهد إبراهيم - عليه السلام - والذي من قبله، والقرآن يقول في إبراهيم - عليه السلام -

إنه: ﴿كان حنيفاً مسلماً﴾ (آل عمران: ٦٨) أي: متديناً بالدين الأصلي، أعني به إسلام الفرد نفسه لربه ومسالمته مع عباده. ج.

(١) هنا في النسخ بياض بمقدار كلمة.

فصل: في [معنى] الاستطاعة

قال أبو جعفر - رحمه الله - ^(١) في الاستطاعة: اعتقادنا في ذلك ما روي عن موسى بن جعفر - عليه السلام - : من أن العبد لا يكون مستطيعاً إلا بأربع خصال ^(٢)... إلخ ^(٣).

قال أبو عبد الله: الذي رواه أبو جعفر عن أبي الحسن موسى - عليه السلام - في الاستطاعة حديث شاذ، والاستطاعة في الحقيقة هي الصّحة والسلامة، فكلّ صحيح فهو مستطيع، وإنّما يعجز الإنسان ويخرج عن الاستطاعة بخروجه عن الصّحة، وقد يكون مستطيعاً للفعل من لا يجد آلة له ويكون مستطيعاً ممنوعاً من الفعل، والمنع لا يضادّ الاستطاعة وإنّما يضادّ الفعل، ولذلك يكون الإنسان مستطيعاً للنكاح وهو لا يجد امرأة ينكحها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٤) فيبين أن الإنسان يكون مستطيعاً للنكاح وهو غير ناكح، ويكون مستطيعاً للحجّ قبل أن يحجّ، ومستطيعاً للخروج قبل أن يخرج.

(١) عنه في بحار الأنوار ٥: ٨، ٩/ ١٠-١٢.

(٢) «ق» زيادة: أن يكون مخلى الشرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله.

(٣) الاعتقادات ص ٣٨، الكافي ١: ١٦٠-١٦١، التوحيد: ٣٤٨/ ٧ وفيها عن الرضا - عليه السلام -.

(٤) النساء: ٢٥.

قال الله تعالى: ﴿وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾^(١) فخبّر أنهم كانوا مستطيعين للخروج فلم يخرجوا.

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢) فأوجب الحج على [الناس و]^(٣) الاستطاعة قبل الحج، فكيف ظنّ أبو جعفر أنّ من شرط الاستطاعة للزنا وجود المزيّ بها، وقد بيّنا أنّ الإنسان يستطيع ذلك مع فقد المرأة وتعذّر وجودها؟ وإن ثبت الخبر الذي رواه أبو جعفر - رحمه الله - فالمراد بالاستطاعة فيه التيسير للفعل وتسهيل سبيله، وليس عدم السبيل موجبا لعدم الاستطاعة، لما قدّمناه من وجود الاستطاعة مع المنع، وهذا باب إن بسطناه طال القول فيه، وفيما أثبتناه من معناه كفاية لمن اعتبره^(٤).

(١) التوبة: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٩٨.

(٣) «ق»: من لم يحج، وأثبت.

(٤) «ق»: تأمله.

فصل: في [معنى] البداء

قال أبو جعفر - رحمه الله - : اعتقادنا في البداء، إلى آخره (٣٠٢، ١).

قال أبو عبد الله: قول الإمامية في البداء طريقه السمع دون العقل، وقد (٤) جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى - عليهم السلام - والأصل في البداء هو الظهور.

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٥) يعني به: ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، وقال: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾ (٦) يعني: ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك، وتقول العرب: قد بدا لفلان عمل حسن، وبدا له كلام فصيح، كما يقولون: بدا من فلان كذا، فيجعلون اللام قائمة مقامه (٧)، فالمعنى في قول الإمامية بدا لله في كذا - أي: ظهر له فيه ومعنى ظهر فيه - أي ظهر منه، وليس المراد منه (٨) تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه

(١) الاعتقادات ص ٤٠.

(٢) عنه في البحار ٤: ١٢٥.

(٣) أنظر كتاب أوائل المقالات ص ٥٣ طبع ١٣٧١ ج.

(٤) «ق»: فقد.

(٥) الزمر: ٤٧.

(٦) الزمر: ٤٨.

(٧) «ق» زيادة: مقام من نائبة عنها.

(٨) «ق»: به.

بعد أن لم تكن فهي معلومة له فيما لم يزل، وإنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظنّ وقوعه، فأما ما علم كونه وغلب في الظنّ حصوله، فلا يستعمل فيه لفظ البداء.

وقول أبي عبد الله - عليه السلام - ^(١): «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل»، فإنّما أراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به، فلطف له في دفعه عنه.

وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق - عليه السلام - فروي عنه أنه قال: «كان القتل قد كتب على إسماعيل مرّتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه» وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغيّر الحال فيه.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ^(٢).

فتبيّن أنّ الأجال على ضربين: ضرب منها مشرط يصحّ فيه الزيادة والنقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(٤) فبيّن أنّ آجالهم كانت مشرطة في الامتداد بالبر والانقطاع بالفسوق.

وقال تعالى [فيما خبر به] ^(٥) عن نوح في خطابه لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

(١) التوحيد: ٣٣٦ / ١٠، كمال الدين: ٦٩.

(٢) الأنعام: ٢.

(٣) الملائكة: ١١.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) «ق»: خبراً.

إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١﴾ إلى آخر الآيات.

فاشترط لهم في مدّ الأجل وسبوغ النعم الاستغفار، فلمّا لم يفعلوه قطع أجالهم وبتر أعمارهم واستأصلهم بالعذاب، فالبداء من الله تعالى يختصّ ما كان مشروطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة ولا من تعقّب الرّأي، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علواً كبيراً.

وقد قال بعض أصحابنا: إنّ لفظ البداء أُطلق ^(٢) في أصل اللّغة على تعقّب الرّأي [والانتقال من عزيمة إلى عزيمة] ^(٣) وإنّما أُطلق ^(٤) على الله تعالى على وجه الاستعارة كما يطلق عليه الغضب والرّضا مجازاً غير حقيقة، وإنّ ^(٥) هذا القول لم يضرّ بالمذهب، إذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السّمع، وقد ورد السّمع بالبداء على ما بيّنا ^(٦)، والذي اعتمدناه ^(٧) في معنى البداء أنّه الظهور ^(٨) على ما قدّمت القول في معناه، فهو خاصّ فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النّظر ^(٩) دون المعتاد؛ إذ لو كان في كلّ واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفاً بالبداء في كلّ أفعاله، وذلك باطل بالاتّفاق.

(١) نوح: ١٠، ١١.

(٢) «ق»: موضوع.

(٣) «ق»: عند وضوح ما كان خفياً.

(٤) «ق»: يطلق.

(٥) «ق»: زيادة: صحّ.

(٦) «ق»: بيّناه.

(٧) «أ»: «ز»: اعتمدنا.

(٨) «أ»: «ز»: «ق»: ظهور.

(٩) في بعض النسخ: الظنّ.

فصل: في النهي عن الجدال

قال أبو جعفر [في الجدال] ^(١): الجدال في الله منهي عنه، لأنه يؤدي إلى ما لا يليق به ^(٢).

وروي عن الصادق - عليه السلام - ^(٣) أنه قال: يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون ^(٤).

قال أبو عبد الله الشيخ المفيد - رحمه الله - : الجدال على ضربين: أحدهما بالحق، والآخر بالباطل، فالحق منه مأمور به ومرغَّب ^(٥) فيه، والباطل منه منهي عنه ومزجور عن استعماله.

قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ^(٦) فأمر بجدال المخالفين وهو الحجاج لهم؛ إذ كان جدال النبي ﷺ حقاً، وقال تعالى لكافة المسلمين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ^(٧) فأطلق لهم

(١) ليست في (ح)، (أ)، (ق).

(٢) الاعتقادات ص ٤٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٥٢١.

(٤) بصائر الدرجات: ٥٤١ / ٤، ٥، التوحيد: ٤٥٨ / ٢٢.

(٥) (ز): مرغوب.

(٦) النحل: ١٢٥.

(٧) العنكبوت: ٤٦.

جدال أهل الكتاب بالحسن^(١)، ونهاهم عن جدالهم بالقبيح.

وحكى سبحانه عن قوم نوح - عليه السلام - ما قالوه في جدالهم^(٢) فقال سبحانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾^(٣) فلو كان الجدال كله باطلاً لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ به، ولا استعمله الأنبياء - عليهم السلام - من قبله، ولا أذن للمسلمين فيه.

فأما الجدال بالباطل فقد بيّن الله تبارك وتعالى عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرِّفُونَ﴾^(٤) فذمّ المجادلين في [آيات الله]^(٥) لدفعها أو قدها^(٦) وإيقاع الشبهة في حقها.

وقد ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم - عليه السلام - أنه حاجّ كافراً في الله تعالى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٧) الآية. وقال مخبراً عن حجاجه قومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾^(٨).

وقال سبحانه آمراً لنبيه ﷺ بمحاجة مخالفيه: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ

(١) في بقية النسخ: بالحق.

(٢) «ح»: جداله لهم.

(٣) هود: ٣٢.

(٤) المؤمن: ٦٩.

(٥) «ح» «ق»: الآيات.

(٦) «ح» «ق»: جدها.

(٧) البقرة: ٢٥٩.

(٨) الأنعام: ٨٣.

فَتُخْرِجُوهُ لَنَا»^(١).

وقال - عز اسمه -: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) الآية. وقال
لنبيه ﷺ: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٣) الآية. وما زالت
الأئمة - عليهم السلام - يناظرون في دين الله سبحانه ويحتجون على أعداء الله تعالى.
وكان شيوخ أصحابهم في كل عصر يستعملون النظر، ويعتمدون الحجاج
ويجادلون بالحق، ويدفعون^(٤) الباطل بالحجج والبراهين، وكان الأئمة - عليهم السلام -
يحمدونهم على ذلك ويمدحونهم ويشنون عليهم بفضل.

وقد ذكر الكليني - رحمه الله - في كتاب الكافي - وهو من أجل كتب الشيعة
وأكثرها فائدة - حديث يونس بن يعقوب مع أبي عبد الله - عليه السلام - حين ورد عليه
الشامي لمناظرته، فقال له أبو عبد الله - عليه السلام -: «وددت أنك يا يونس كنت
تحسن الكلام».

فقال له يونس: جُعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل
لأهل الكلام؛ يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا
نعقله وهذا لا نعقله.

فقال له أبو عبد الله - عليه السلام -: «إنما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي وصاروا
إلى خلافه» ثم دعا حمران بن أعين ومحمد بن الطيار^(٥)، وهشام بن سالم وقيس
الماصر فتكلموا بحضرة، وتكلم هشام بعدهم فأثنى عليه ومدحه وقال له:

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ٩٤.

(٣) آل عمران: ٦٢.

(٤) في بعض النسخ: يدفعون.

(٥) أنظر ذيل كتاب (أوائل المقالات - ص ٦٩-٧٠ طبع ١٣٧١) بقلم العلامة الزنجاني. ج.

«مثلك من يكلم الناس»، وقال - عليه السلام - وقد بلغه موت الطيَّار: «رحم الله الطيَّار ولقاه نضرة وسروراً، فلقد كان شديد الخصومة عنّا أهل البيت»^(١).

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر - عليه السلام - لمحمَّد بن حكيم: «كلم النَّاس ويبيِّن لهم الحقَّ الَّذي أنت عليه، ويبيِّن لهم الضَّلالة التي هم عليها».

وقال أبو عبد الله - عليه السلام - لبعض أصحابنا^(٢): «حاجَّوا النَّاس بكلامي، فإن حجَّوكم فأنا المحجَّوج» وقال هشام بن الحكم وقد سأله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها فأجابه عن ذلك، ثم قال له بعد الجواب: «أفهمت يا هشام فهماً تدفع به أعداءنا الملحدين في دين الله وتبطل شبهاتهم»؟ فقال هشام: نعم، فقال له: «وقفك الله».

وقال - عليه السلام - لطائفة من أصحابه: «بيئوا للنَّاس الهدى الَّذي أنتم عليه، وبيئوا لهم [ضلالهم الَّذي هم عليه]^(٣) وباهلوههم في علي بن أبي طالب - عليه السلام -» فأمر بالكلام ودعا إليه وحثَّ عليه.

وروي عنه - عليه السلام - أنه نهى رجلاً عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه: جُعلت فداك، نهيت فلاناً عن الكلام وأمرت هذا به؟ فقال: «هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه» فثبت أنَّ نهى الصَّادقين - عليهم السلام - عن الكلام إنّما كان لطائفة بعينها لا تحسنه ولا تهتدي إلى طريقه وكان الكلام يفسدها، والأمر لطائفة أخرى به، لأنّها تحسنه وتعرف طريقه وسبله.

فأمَّا النهي عن الكلام في الله - عزَّ وجلَّ - فإنّما يختصُّ بالنَّهي عن الكلام في

(١) بحار الأنوار ٢: ١٣٦.

(٢) «ح» «ق»: أصحابه.

(٣) «ق»: الضَّلالة التي هم عليها، «ز»: ضلالتهم التي هم عليها.

تشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه.

وأما الكلام في توحيده ونفي التشبيه عنه والتنزيه له والتقدیس، فمأمور به ومرغَّب^(١) فيه، وقد جاءت بذلك آثار كثيرة وأخبار متظافرة، وأثبت في كتابي «الأركان في دعائم الدين» منها جملة كافية، وفي كتابي «الكامل في علوم الدين» منها باباً استوفيت القول في معانيه وفي «عقود الدين» جملة منها؛ من اعتمادها أغنت عما سواها، والمتعاطي لإبطال النظر شاهد على نفسه بضعف الرأي، وموضح عن قصوره عن المعرفة ونزوله عن مراتب المستبصرين، والنظر غير المناظرة، وقد يصح النهي عن المناظرة للتقية^(٢) وغير ذلك، ولا يصح النهي عن النظر، لأن في العدول عنه المصير إلى التقليد والتقليد مذموم باتفاق العلماء ونص القرآن والسنة.

قال الله تعالى ذاكراً لمقلدة من الكفار وذاماً لهم على تقليدهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾^(٣).

وقال الصادق - عليه السلام - : «من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل»^(٤).

وقال - عليه السلام - : «إياكم والتقليد، فإنه من قلّد في دينه هلك» إن الله تعالى يقول: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥) فلا^(٦) والله ما صلوا لهم

(١) «از»: ومرغوب.

(٢) في بعض النسخ: لتقية.

(٣) الزخرف: ٢٣، ٢٤.

(٤) بحار الأنوار ٢: ١٠٥.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) في بقية النسخ: ولا.

ولا صاموا، ولكنهم أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فقلّدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم^(١) لا يشعرون».

وقال - عليه السلام - : «من أجاب ناطقاً فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان».

فصل:

ولو كان التقليد صحيحاً والنظر باطلاً لم يكن التقليد لطائفة أولى من التقليد لأخرى، وكان كلّ ضالّاً بالتقليد معذوراً^(٢)، وكلّ مقلّد لمبدع غير موزور^(٣)، وهذا ما لا يقوله أحد، فعلم بما ذكرناه أنّ النّظر هو الحقّ والمناظرة بالحقّ صحيحة، وأنّ الأخبار التي رواها أبو جعفر - رحمه الله - وجوهها^(٤) ما ذكرناه، وليس الأمر في معانيها على ما تخيّل فيها، والله وليّ التوفيق.

(١) «ق»: من حيث.

(٢) «ق»: غير موزور.

(٣) «ز»: معذور.

(٤) «ق»: جوابها.

فصل: في اللّوح والقلم (*)

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - ^(١): اعتقدنا في اللّوح والقلم أنّهما ملكان ^(٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله - : اللّوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى يوضحه ^(٣): ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ^(٤) فاللّوح هو الذّكر، والقلم هو الشّيء الذي أحدث الله به الكتابة ^(٥) في اللّوح، وجعل اللّوح أصلاً ليعرف الملائكة - عليهم السلام - منه ما يكون [من غيب أو وحي] ^(٦)، فإذا أراد الله تعالى أن يُطلع الملائكة على غيب له أو يُرسلهم إلى الأنبياء - عليهم السلام - بذلك أمرهم بالاطّلاع في ^(٧) اللّوح، فحفظوا منه ما يؤدّونه إلى من أرسلوا إليه، وعرفوا منه ما يعملون ^(٨)، وقد جاءت بذلك آثار عن النبي ﷺ وعن الأئمة - عليهم السلام - .

فأمّا من ذهب إلى أنّ اللّوح والقلم ملكان؛ فقد أبعد بذلك ونأى به عن الحقّ؛ إذ الملائكة لا تسمّى ألواحاً، ولا أقلاماً، ولا يعرف في اللّغة اسم ملك ولا ^(٩) بشر لوح ولا ^(١٠) قلم.

(*) أنظر البحار - ص ٩٠ ج ١٤ ط كمانبي والمسألة الثامنة والثلاثين من المسائل العكبرية. ج

(١) الاعتقادات ص ٤٤. (٢) عنه في البحار ٥٧: ٣٧٠ / ١٠.

(٣) ليست في «ق» «ز» «ح» «أ». (٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) «أ» «ز»: الكتاب. (٦) ليست في بقية النسخ.

(٧) «ز»: على. (٨) «ق» «ز»: يعلمون.

(٩) «ق»: أو.

فصل: في [معنى] العرش (*)

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - ^(١): اعتقادنا في العرش أنه حملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم ... ^(٢) إلخ.

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد - رحمه الله -: العرش في اللّغة هو الملك ^(٣)، قال الشاعر بذلك:

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم وأودت كما أودت أيادٍ وحميرٌ ^(٤)

يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا، وقال آخر ^(٥):

أظننت عرشك لا يزول ولا يغيّر

يعني: أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر.

وقال الله تعالى مخبراً عن واصفي مُلك ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(*) أنظر البحار - ص ٩٣ ج ١٤ ط كمانبي. ج

(١) عنه في البحار ٥٨ : ٥ / ٧ .

(٢) الاعتقادات ص ٤٥ ، وبحار الأنوار ٧ : ٥٥ .

(٣) بحار الأنوار ٧ : ٥٥ .

(٤) بحار الأنوار ٧ : ٥٥ .

(٥) «ق»: الآخر.

وَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَزِيدُونَ: لها ملك عظيم، فعرش الله تعالى هو ملكه، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك، والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مَهْرَاقٍ ﴿٢﴾

يريد به قد استولى على العراق ﴿٣﴾، فأما العرش الذي تحمله الملائكة؛

(١) النمل: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٤: ٥.

(٣) قال العلامة الشهرستاني في مجلّة (المُرشد ص ٢٩ - ٣١ ج ٣): ليس المذهب الصحيح ما ذهب إليه الحشويّة وبعض الظاهريّة من أنّ العرش سرير كبير يجلس الله عليه جلوس الملك اغتراراً منهم بما يفهمه العوام من كلمة «العرش» أو من لفظة «استوى» إذ العلم والذين متفقان على تنزيه الخالق - عزّ شأنه - من صفات الأجسام، وتقديس العالم الرّوحاني من شوائب المواد. ولو اتّخذنا فهم العوام ميزاناً لتفسير الكتاب والسنة لشوهنا محاسن تلك الجمل البليغة، وذهبنا بها إلى معاني مبدولة غير مقبولة، ولوجب علينا أن نفسّر آية: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (البقرة: ٢٠) بدخول الأصابع كلّها في الأذان، وأن نفسّر حديث «الحجر الأسود يمين الله في أرضه» بأنّ الحجر هو إحدى أكفّ الربّ - تعالى شأنه - نعم، لهذا الحديث وأمثاله ولتلك الآية وأمثالها وجه معقول، ولكن على سبيل التشبيه والمجاز، وعليها مدار الكلام البليغ.

وبالجملة: إنّنا نفسّر القرآن بالقرآن لثلاً نعيد عن صراطه المستقيم، فنقول: إنّ العرب كانوا ولا يزالون يسمون البيت المصنوع سقفه وقوائمه من أصول الأشجار عريشاً ويستعملون الصّيع المشتقة من هذا الاسم لمعانٍ قريبة منه، كما في آية ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرَشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وفي آية: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: ٦٨) وآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ﴾ (الأنعام: ١٤١) يعني بذلك السقوف وقوائمه المصنوعة من أصول الشجر وفروعها للكرم أو لغيره، وآية: ﴿وَمِمَّا

فهو بعض الملك^(١)، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة، وتعبد الملائكة - عليهم السلام - بحمله وتعظيمه، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحج إليه وتعظيمه، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى خلق بيتاً تحت

﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة: ٢٦٠) يعني قصورها وبيوتها المسقفة، وهذه المناسبة ومن غلبة الاستعمال صار «العرش» علماً للدائرة الخاصة بملوك البشر على اختلاف أشكالها حسب اختلاف حضارة البشر في أدواره وفخامة الملك وسلطانه. وقد استعمل الوحي الإلهي لفظة «العرش» على سبيل التجوز في دائرة ملك الله سبحانه الخاصة به وبملائكته المقربين، فعرضه كناية عن عالم الروحانيات، وما كان الحكماء الأقدمون يسمونه بعالم الملكوت، وسمّاه حكماء الإسلام بعالم الأمر.

وأما لفظة «استوى» وهي التي جعلت الآية من المتشابهات عند القوم؛ فمعناها التمكن التام والاستيلاء الكامل بدليل ما يظهر من آية: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ (المؤمنون: ٢٨) أي: تمكنت، وآية: ﴿فاستغلف فاستوى على سوقه﴾ (الفتح: ٢٩) أي: تمكن واستقام، وآية: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً﴾ (القصص: ١٤) فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة، وكثير في محاورات العرب استعمال «استوى» بمعنى التمكن التام والاعتدال الكامل؛ كقول بعيث الشاعر:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهوراق
يريد تمكنه التام، غير أننا نتوخى على الدوام تفسير القرآن بالقرآن والاهتداء منه إليه، وقد دلنا على معنى «العرش» كما دلنا على معنى «الاستواء» وأن الله سبحانه قد ظهر من خلقه للسموات والأرض تمكنه التام واقتراده الكامل على عالم الأرواح، أي: دائرة ملكه الخاصة به والمهيمنة على عالم الأجسام، ويؤيد ذلك: قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه: ٦) مشيراً إلى أنه استولى قبل كل شيء على عالم الملكوت والأرواح، ثم تمكن بذلك من تملك عالم الناسوت والأجرام.

وإن شتم التفاصيل الكافية بأسرار العرش وآياته وحل سائر مشكلاته؛ فقد استوفينا كل ذلك في رسالتنا «العرشية». ج.

العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السّماء الرّابعة بيتاً سمّاه الضّراح وتعبّد الملائكة بحجّه والتّعظيم له والطّواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض وجعله^(١) تحت الضّراح^(٢).

وروي عن الصّادق - عليه السلام -^(٣) أنّه قال : لو ألقي حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور، ولو ألقي حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه ليستوطنه، تعالى الله عن ذلك. لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكرامة له وإعظماً وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه^(٤) لنفسه ولا ليسكنه، تعالى الله عن ذلك كلّه. لكنّه خلقه لخلقه وأضافه لنفسه^(٥) إكراماً له وإعظماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه.

فأمّا [الوصف للعلم]^(٦) بالعرش فهو في مجاز اللّغة دون حقيقتها، ولا وجه لتأويل^(٧) قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٨) بمعنى^(٩) أنّه احتوى على العلم، وإنّما الوجه في ذلك ما قدّمناه.

والأحاديث التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد وروايات أفراد لا يجوز القطع بها ولا العمل عليها، والوجه الوقوف عندها والقطع على أنّ [العرش في الأصل]^(١١) هو الملك، والعرش المحمول جزء من الملك تعبّد الله تعالى بحمله الملائكة على ما قدّمناه^(١٢).

-
- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| (١) «أ» «ز» «ح» : فجعله. | (٢) بحار الأنوار ٥٥ : ٨. |
| (٣) بحار الأنوار ٥٥ : ٨. | (٤) «ز» : يجعله. |
| (٥) «ح» «ز» «ق» : إلى نفسه. | (٦) «ق» : وصف العلم. |
| (٧) بحار الأنوار ٥٥ : ٨. | (٨) «ح» «ز» «ش» «ق» : لتأويل. |
| (٩) طه : ٥. | (١٠) «ق» : على. |
| (١١) في المطبوعة: الأصل في العرش. | (١٢) بحار الأنوار ٥٥ : ٨. |

فصل: في النفوس والأرواح

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - ^(١): اعتقادنا في النفوس أنها هي الأرواح، وأنها الخلق الأول، وأنها خلقت للبقاء، وأنها في الأرض غريبة، وفي الأبدان مسجونة.

قال الشيخ أبو عبد الله: كلام أبي جعفر في النفس والروح على مذهب الحدس دون التحقيق، ولو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه ^(٢) سلوكه.

[قال الشيخ أبو عبد الله: النفس عبارة] ^(٣) عن معانٍ: أحدها: ذات الشيء، والثاني ^(٤) الدم السائل، والثالث ^(٥): النفس الذي هو الهواء، والرابع: الهوى وميل الطبع ^(٦).*

فأما شاهد المعنى الأول؛ فهو قولهم: هذا نفس الشيء - أي: ذاته وعينه -

(١) الاعتقادات ص ٤٧ و البحار ٦: ٢٤٩/٨٧ و ٦١: ٧٨-٧٩.

(٢) «ق»: عليه.

(٣) في المطبوعة: أما النفس فعبارة.

(٤) «أ» «ح» «ز» «ق» «ش»: والآخر.

(٥) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق»: والآخر.

(٦) «ح» «ق»: الطباع.

* بحار الأنوار ٥٨: ٧٩.

وشاهد الثاني قولهم: كل ما كانت [له نفس] ^(١) سائلة فحكمه كذا وكذا، وشاهد الثالث قولهم: فلان هلكت نفسه، إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من جوانبه ^(٢)، وشاهد الرابع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ^(٣) يعني: الهوى داع إلى القبيح، وقد يُعبّر بالنفس عن النقم، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ^(٤) يريد به: نقمه وعقابه ^(٥).

فصل ^(٦):

[قال الشيخ المفيد: وأما الروح] ^(٧) فعبارة عن معان: أحدها: الحياة، والثاني: القرآن، والثالث: ملك من ملائكة الله تعالى، والرابع: جبرئيل - عليه السلام. فشاهد الأول قولهم: كل ذي روح فحكمه كذا وكذا، يريدون: كل ذي حياة، وقولهم في من مات: قد خرجت منه الروح، يعنون به الحياة، وقولهم في الجنين: صورة لم تلجه الروح، يريدون: لم تلجه ^(٨) الحياة. وشاهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ^(٩) يعني به: القرآن.

وشاهد الثالث قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ^(١٠) الآية. وشاهد الرابع قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ ^(١١) يعني: جبرئيل - عليه

السلام..

فأما ما ذكره الشيخ أبو جعفر ورواه: أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| (١) «أ»: «ز»: النفس. | (٢) «أ»: «ح»: «ز»: «ق»: «ش»: حواشيه. |
| (٣) يوسف: ٥٣. | (٤) آل عمران: ٢٩. |
| (٥) «ز»: وعذابه. | (٦) ليست في المطبوعة. |
| (٧) في المطبوعة: وأما الروح. | (٨) «ق»: تحلّه. |
| (٩) الشورى: ٥٢. | (١٠) النبأ: ٣٨. |
| | (١١) النحل: ١٠٢. |

عام؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فهو حديث من أحاديث الأحاد وخبر من طرق الأفراد، وله وجه غير ما ظنّه من لا علم له بحقائق الأشياء، وهو أنّ الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر^(١)، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التناسخ ودخلت الشبهة فيه على حشوية

(١) قال المصنّف - قدس الله نفسه - في ضمن جواب المسألة الثانية من المسائل السروية * : فأما الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامة كما روته الخاصة وليس «هو» مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحته، وإنّا نقله رواته لحسن الظنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أن الله تعالى قدر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم - كما قدمناه - وليس بخلق لذواتها كما وصفناه - والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام والصّور التي تدبّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى آلات تعتملها ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد. وهذا محال لا خفاء بفساده.

وأما الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؛ فالمعنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرّأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرّأي والهوى اختلف. وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الدّرّ ائتلف - كما يذهب إليه الحشوية، كما بيّناه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، ولو ذكّر بكلّ شيء ما ذكر ذلك - فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه، والله الموفق للصواب . انتهى .

انظر المجلّد الزّابع عشر من البحار « السّماء والعالم - ص ٤٢٨ ط أمين الصّرب ». ج .

* أنظر إلى مقدمة العلامة الزنجاني لكتاب (أوائل المقالات - ص مه طبع ١٣٧١). و أنظر البحار -

الشّیعة فتوهّموا أنّ الذّوات^(١) الفعّالة المأمورة والمنهية كانت مخلوقة في الذّر^(٢)

(١) «ق»: الذات.

(٢) قال المصنّف - قدّس سرّه - في ضمن جواب المسألة الثّانية من المسائل السّروية، ما نصّه: وأمّا الحديث في إخراج الذّريّة من صلب آدم - عليه السّلام - على صورة الذّر؛ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه *، والصّحيح أنّه أخرج الذّريّة من ظهره كالذّر فملا بهم الأفق، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، وعلى بعضهم نوراً وظلمة، فلمّا رآهم آدم عجب من كثرتهم وما عليهم من النّور والظلمة فقال: يا ربّ ما هؤلاء؟ فقال الله - عزّ وجلّ - : هؤلاء ذرّيتك، يريد تعريفه كثرتهم وامتلاء الأفاق بهم، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذّر الذي رآه ليعرّفه قدرته وبيّشه باتّصال نسله وكثرتهم. فقال آدم - عليه السّلام - : يا ربّ ما لي أرى على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، وعلى بعضهم ظلمة ونوراً؟

فقال تبارك وتعالى: أمّا الذين عليهم النّور بلا ظلمة فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري، فأولئك سكّان الجنّة.

وأما الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور فهم الكفّار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني في شيء من أمري، فهؤلاء حطب جهنم.

وأما الذين عليهم نور وظلمة فأولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني يخلطون أعمالهم السيّئة بأعمال حسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ إن شئت عذبتهم فبعدي، وإن شئت عفوت عنهم بتفضلي، فأنبأه الله بما يكون من ولده وشبّههم بالذّر الذي أخرجهم من ظهره وجعله علامة على كثرة ولده، ويحتمل أن يكون ما أخرجهم من ظهره أصول اجسام ذرّيته دون أرواحهم، وإتّما فعل الله ذلك ليدلّ آدم - عليه السّلام - على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه ومن عجائب صنعه وعلمه بالكائن قبل كونه ليزداد آدم - عليه السّلام - يقيناً برّبّه ويدعوه ذلك إلى التّوفير على طاعته والتّمسك بأوامره والاجتناب لزواجه.

وأما الأخبار التي جاءت بأن ذرّية آدم - عليه السّلام - استنطقوا في الذّر فنطقوا فأخذ

* أنظر المقام الخامس من (مقامات النّجاة) للسّيد نعمّة الله الجزائري - ره - وراجع البحار - ص

تتعارف وتعقل وتفهم وتنطق، ثم خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك

﴿عليهم العهد فأقروا، فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل، والمعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه بما يستمر القول به على الأدلة العقلية والحجج السمعية دون ما عداه، وإنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

فصل:

فإن تعلق متعلق بقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف: ١٧٣) وظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحسوية والعامّة في انطاق الذرية وخطابهم بأنهم كانوا أحياءً ناطقين.

فالجواب عنه * : أنّ هذه الآية من المجاز في اللّغة كظواهرها ممّا هو مجاز واستعارة، والمعنى فيها أنّ الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلف يخرج من صلب آدم وظهور ذريته العهد عليه بربوبيته من حيث أكمل عقله ودلّه بآثار الصنعة فيه على حدوثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه أحد يستحقّ العبادة منه بنعمته عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم هو إشهادهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربّهم، وقوله تعالى: ﴿قالوا بلى﴾ يريد أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدوثهم الّلازمة لهم، وحجّة العقل عليهم في إثبات

* وأجاب المؤلّف - قده - عن الآية في المسألة الخامسة والأربعين من المسائل العكبرية بما أجاب عنها في المسألة الثانية من المسائل السروية لكن مع اختلاف في التعبير.

وقال العلامة الشهرستاني في مجلة (المرشد - ص ١٢٠ ج ٣ ط بغداد): «في الناس أناس يعتقدون أنّ البشر من قبل أن يخلقوا خلقتهم هذه، كانوا على كثرتهم ذوي حظ من الوجود ولكن على قدر الذر أو أصغر ويسمّون الوطن الذي كانوا فيه على هذه الصفة (عالم الذر) و(عالم الميثاق) و(يوم الألت) بمناسبة خطاب الله لهم (وهم ذر) بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ غير أنّ المحقق رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ نسب هذا المذهب إلى الحسوية في كتابه (المحكم والمتشابه) * * * وفسّر هذه الآية التي هي من أقوى أدلّة الذريين بحال أمتنا تجاه الخطابات الشرعية في عالمنا المحسوس. وعلى هذا أكثر المحققين من علماثنا

المقدمين كالشيخ المفيد والطبرسي - رض - وكالتراقيين من المتأخرين...» ج.

* * * أنظر متشابهات القرآن ومختلفه ص ٨ ج ١ ط طهران لابن شهر آشوب ج.

فرکبها فیها، ولو كان ذلك كذلك لکنّا نعرف نحن ما کنّا علیه، وإذا

﴿صانعمهم، فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحجّة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم:

﴿ألست بربکم﴾ فلما لم یقدروا على الامتناع عن لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلین بلی.

وقوله تعالی: ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا کنّا عن هذا غافلین أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل

وکنّا ذریّة من بعدهم أفتهلکنا بما فعل المبطلون﴾ (الأعراف: ١٧٣) ألا ترى أنه احتجّ علیهم

بما لا یقدرون يوم القيامة أن یناولوا [یتأولوا] في إنكاره ولا یستطیعون.

وقد قال سبحانه: ﴿والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والشّجر والدّوابّ وكثیر من النّاس

وکیفر حقّ علیهم العذاب﴾ (الحجّ: ١٨) * ولم یرد أنّ المذكور یسجد (کذا) کسجود البشر في

الصّلاة، وإنا أراد أنه غیر ممتنع من فعل الله، فهو كالطّیيع لله، وهو یعبر عنه بالسّاجد.

قال الشّاعر:

بجمع تظلّ البلق في حجراته ترى الأکم فيه سجّداً للحوافر * * *

* أوّل الآیة: ﴿ألم تر أن الله یسجد له من في السموات و من في الأرض﴾. قال المصنف - قده - في

جواب المسألة الرابعة من المسائل العکبرية: السجود في اللغة التذللّ والخضوع ومنه سمی

المطیيع لله ساجداً لتذللّه بالطّاعة لمن أطاعه، وسمی واضع جبهته على الأرض ساجداً لمن وضعها

له لأنّه تذللّ بذلك له وخضع، والجهادات وإن فارقت الحيوانات بالجمادية فهي متذلّلة لله عزّ

وجلّ من حيث لم تتمتع من تدبيره لها وأفعاله فيها، والعرب تصف الجهادات بالسجود وتقصد

بذلك ما شرحناه في معناه، ألا ترى إلى قول الشّاعر وهو زید الخیل:

بجمع تظلّ البلق في حجراته ترى الاکم فيه سجّداً للحوافر

أراد أن الاکم الصلاب في الأرض لا تتمتع من هدم حوافر الخیل لها وانخفاضها بعد

الارتفاع... والتذللّ بالاختيار والاضطرار لله عزّ اسمه یعم الجهاد والحيوان الناطق والمستبهم

معاًج

* * * وفي الكامل للمبرد - ص ١٥٦ ج ٢ ط مصر ١٣٣٩ هـ: و یروی عن حماد الراوية قال: قالت

لیل بنت عروة بن زید الخیل لأبيها: هل رأيت قول أبيک:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مکنف قد شدّ عقد الدوابر

بیجيش تفضل البلق في حجراته ترى الاکم منه سجّداً للحوافر

مکنف کمحسن کنية زید الخیل الصحابي - رض - قال العلامّة ابن قتیبة الدینوري (المتوفى

سنة ٢٧٦ هـ) في کتاب (المعارف - ص ١٤٥ ط مصر ١٣٥٣ هـ): كان مکنف أكبر ولد أبيه وبه

كان یکنى وصحب النبي ﷺ فإنه أتى النبي ﷺ و سماه زید الخیر وحماد الراوية مولى مکنف. ج

ذُكرنا به ذكرناه ولا يخفى علينا الحال فيه، ألا ترى أنّ من نشأ ببلد من البلاد

يريد: أنّ الحوافر تذلّ الأكم بوطنها عليها، وقال آخر:

سجوداً له عانون يرجون فضله وترك ورهط الأعجمين وكابيل

يريد: أنهم يطيعون له، وخبر عن طاعتهم بالسجود، وقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت: ١١) وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام، ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وإنما أراد أنه عهد إلى السماء فخلقها فلم يتعدّر عليه صنعها، وكأنه لما خلقها قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً فلما انفعلت بقدرته كانتا كالقائل: أتينا طائعين، ومثله قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلكت و تقول هل من مزيد﴾ (ق: ٣٠) والله تعالى يجلب عن مخاطبة النار وهي مما لا تعقل ولا تتكلم، وإنما [هوا] الخبر عن سعتها وأنها لا تضيق بمن يحملها من المعاقبين، وذلك كله على مذهب أهل اللغة وعادتهم في المعجاز، ألا ترى إلى قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وحذرتا كالذّرّ لما يثقُبُ

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منها البكاء فكانتا كما أراد من غير تعدّر عليه، ومثله قول غيره [عنتر]:

ازور عن وقع القنا بلبانه * وشكوى إليّ بعبرة وتمحّم

والفرس لا يشتكي قولاً ولكنّه ظهر منه علامة الخوف أو الجرع.

ومنه قول الآخر:

«شكى إليّ جملي طول السرى» ***.

والجمل لا يتكلم لكنّه لما ظهر منه النصب، والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق والكلام، ومنه قوله:

امتلاً الحوض وقال قطني حسبك منّي قد ملأت بطني

والحوض لم يقل قطني ولكنّه لما امتلأ بالماء عبّر عنه بأنه قال حسبني، ولذلك أمثال كثيرة في

مشور كلام العرب ومنظومه وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية، والله تعالى

* اللبان: الصدر أو ما بين الثديين، وأكثر استعماله لصدر ذات الحوافر كالفرس. ج.

** آخر الشعر: يا جملي ليس إليّ المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى. ج.

فأقام^(١) فيه حولاً ثم انتقل^(٢) إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك^(٣) وإن خفي عليه لسهوه عنه فذكر به ذكره، ولولا أن الأمر كذلك لجاز أن يولد إنساناً مناً ببغداد وينشأ بها ويقوم عشرين سنة فيها ثم ينتقل إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً، وإن ذكر به وعدد عليه علامات حاله ومكانه ونشوته أنكرها، وهذا ما لا يذهب إليه عاقل^(٤)، وكذا ما كان ينبغي لمن لا معرفة له بحقائق الأمور

﴿سأل التوفيق، اهـ.﴾

أنظر (المسألة ٤٥ من المسائل العكبرية للشيخ المفيد - ره - وأمالى تلميذه الشريف السيد المرتضى - ره - المسمى بغرر الفوائد ودرر القلائد - ص ٢٠ - ٣٤ ج ١ ط مصر) و (مجمع البيان - ص ٤٩٧ ج ٢ ط صيدا) لامام المفسرين الشيخ الطبرسي - ره - ورسالة (فلسفة الميثاق والولاية - ص ٣ - ١٠ ط صيدا) للعلامة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي مدّ ظله. ج.

(١) «ق»: وأقام.

(٢) «ق»: زيادة: عنه.

(٣) بحار الأنوار ٥٨: ٨٠-٨١.

(٤) قال - قدس سره - في ضمن جواب المسألة الأولى من المسائل العكبرية * : إن قيل إن أشباح آل محمد عليهم السلام سبق وجودها وجود آدم فالمراد بذلك أن أمثلتهم في الصور كانت في العرش فرآها آدم وسأل عنها فأخبره الله أنها أمثال صور من ذريته شرفهم بذلك وعظّمهم به، فأما أن تكون ذواتهم - عليهم السلام - كانت قبل آدم موجودة فذلك باطل بعيد عن الحق لا يعتقده محصل ولا يدين به عالم وإنما قال به طوائف من الغلاة الجهال والحشوية من الشيعة الذين لا بصيرة لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام.

وقد قيل: إن الله تعالى كان قد كتب أسماهم في العرش ورآها آدم وعرفهم بذلك وعلم أن شأنهم عند الله عظيم.

وأما القول بأن ذواتهم كانت موجودة قبل آدم فالقول في بطلانه على ما قدمناه. اهـ. ﴿﴾

* أنظر مقدمة (أوائل المقالات ص مه طبع ١٣٧١) ج.

أن يتكلم فيها على خبط عشواء^(١). والذي^(٢) صرح به أبو جعفر - رحمه الله - في معنى الروح والنفس هو قول التناسخية بعينه من غير أن يعلم أنه قولهم فالجناية بذلك على نفسه وعلى غيره عظيمة.

فأما ما ذكره من أن الأنفس^(٣) باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضاد ألفاظ القرآن.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٤) والذي حكاه من ذلك وتوهمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدون الذين زعموا أن الأنفس^(٥) لا يلحقها الكون والفساد، وأنها باقية، وإنها تفتنى وتفسد الأجسام المركبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ

﴿س﴾ وقال (س) في ضمن جواب المسألة المتممة للخمسين: فصل - وقوله إن النبي ﷺ ولد مبعوثاً ولم يزل نبياً فإنه مجمل من المقال وباطل فيه على حال فإن أراد بذلك أنه لم يزل في الحكم مبعوثاً وفي العلم نبياً فهو كذلك، وإن أراد (بذلك) أنه لم يزل موجوداً في الأزل ناطقاً رسولاً وكان في حال ولادته نبياً مرسلأ كما كان بعد الأربعين من عمره فذلك باطل لا يذهب إليه إلا ناقص غبي لا يفهم عن نفسه ما يقول والله المستعان وبه التوفيق. ج.

(١) قال في (الخور العين - ص ٣١٣): والعشواء في قول الخليل: الناقة التي لا تبصر ما أمامها، فهي تحبب بيديها كل شيء وترفع طرفها لا تنظر موقع يديها، ففُضرب بها المثل لمن لا يتبين في أمره، فقيل: كراكب العشواء، وركب العشواء وهو يخبط خبط العشواء.

(انظر مجمع الأمثال ص ٣٣٦ ج ٢ ط مصر) أيضاً. ج.

(٢) من هنا ذكره المجلسي في البحار ٥٨: ٨١.

(٣) «ق» «ز»: النفس.

(٤) الزحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٥) في المطبوعة: النفس.

وزعموا أنّ الأنفس^(١) لم تزل تتكرّر في الصّور^(٢) والهياكل لم تحدث ولم تفن ولن^(٣) تعدم، وأنها باقية غير فانية، وهذا من أخبث قول وأبعده من الصّواب، وبما دونه في الشّناعة والفساد شنع به النّاصبة على الشّيعّة ونسبوهم إلى الزّندقة، ولو عرف مُثبّته ما^(٤) فيه لما تعرّض له، لكنّ أصحابنا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلة فطنة يمزّون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها، ولا يفرّقون^(٥) بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصّلون معاني ما يطلقونه منها.

والذي ثبت من الحديث في هذا الباب أنّ الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين: منها ما ينقل إلى الثّواب والعقاب، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب.

وقد روي عن الصادق - عليه السلام - ما ذكرناه^(٦) في هذا المعنى وبينّاه^(٧)، فسئل عن مات في هذه الدّار أين تكون روحه؟ فقال - عليه السلام - : من

(١) «ز»: النّفس. (٢) في المطبوعة: الصّورة.

(٣) «ح» «ز»: «ق»: ولم. (٤) في المطبوعة: بها.

(٥) «ح» «ق»: يميّزون. (٦) «ق»: ذكرنا.

(٧) ومّا هو جدير بالذكر أنّه لا منافاة بين هذا الخبر وبين سائر الأخبار الواردة في الرّجعة المشعرة بأنّه لا يرجع إلى الدّنيا إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فإنّ هذا الخبر في مقام بيان أنّه لا ينعم ولا يعذب من النّفوس بعد مفارقة الأجساد إلّا نفوس ماحضي الإيمان أو ماحضي الكفر، وأنّ سائر النّفوس من أمثال المستضعفين وغيرهم لا يشعر بشيء من الثّواب والعقاب حتّى يوم النّشور وبعث من في القبور.

وأخبار الرّجعة في مقام بيان أنّ الرّاجعين إلى الدّنيا ليسوا إلّا من هاتين الطّائفتين أعني ممحّضي الإيمان وممحّضي الكفر، وليس في مقام إثبات أنّ كلّ ماحض للإيمان أو ماحض للكفر يعود، فلا منافاة بين مضامين الأخبار، وللمصنّف - قدّس سرّه - بيان شاف في هذا الباب أيضاً في «أوائل المقالات». ز.

مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة^(١)، وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه^(٢) وردّ روحه إلى جسده وحشره ليوقيه أعماله، فالمؤمن تنتقل^(٣) روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة، فيُجعل في جنّة من جنان الله يتنعم فيها إلى يوم المآب، والكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه فتُجعل في نارٍ فيعذب بها إلى يوم القيامة، وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾^(٤) وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٥) فأخبر سبحانه أنّ مؤمناً قال بعد موته وقد أدخل الجنة: يا ليت قومي يعلمون، وأخبر أنّ كافراً يعذب بعد موته غدوًّا وعشيًّا ويوم تقوم الساعة يخلد في النار.

والضرب الآخر: من يُلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسمه، فلا يشعر بشيء حتى يُبعث، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً، ولا الكفر محضاً. وقد بيّن الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ امْثُلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾^(٦) فبيّن أنّ قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظنّ

(١) أنظر (بقاء النفس بعد فناء الجسد - ص ٤٨ - ٤٩ ط مصر) للفيلسوف الأكبر وأستاذ البشر

نصير الدين الطوسي - ه - وشرحها للمرحوم العلامة أبي عبد الله الزنجاني طاب ثراه. ج.

(٢) بحار الأنوار ٥٨: ٨١.

(٣) «ز»: تنقل.

(٤) يس: ٢٦ - ٢٧.

(٥) المؤمن: ٤٦.

(٦) طه: ١٠٤.

بعضهم أنّ ذلك كان عشراً^(١)، ويظنّ بعضهم أنّ ذلك كان يوماً، وليس يجوز أن يكون ذلك عن وصف من عذب إلى بعثه أو نعم إلى بعثه، لأنّ من لم يزل منعماً أو معذباً لا يُجهل عليه حاله فيما عومل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

وقد روي عن أبي عبد الله - عليه السلام - أنّه قال: إنّما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأما ما سوى هذين فإنّه يُلهى عنه.

وقال في الرّجعة: إنّما يرجع إلى الدّنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً^(٢)، فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب^(٣).

(١) في سورة طه: ١٠٣ ﴿... إن لبثتم إلاّ عشراً﴾ الآية. ج.

(٢) بحار الأنوار ٥٨: ٨٢.

(٣) قال المصنّف - قدس سره - في ضمن جواب المسألة الأولى من المسائل السروية:

فصل:

والرّجعة عندنا تختصّ بمن يمحض الإيمان ويمحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين، وإذا أراد الله تعالى على ما ذكرناه أوهم الشيطان أعداء الله - عزّ وجلّ - أنّهم إنّما ردّوا إلى الدّنيا لطغيانهم على الله تعالى فيزدادون عتوّاً، فينتقم الله تعالى منهم لأوليائه المؤمنين، ويجعل لهم الكرة عليهم، فلا يبقى منهم أحد إلاّ وهو مغموم بالعذاب والنقمة، وتصفو الأرض عن الطّغاة، ويكون الدّين لله تعالى، والرّجعة إنّما هي لمحضي الإيمان من أهل الملة ومحضي التّفاق منهم دون من سلف من الأمم الخالية.

فصل:

وقد قال بعض المخالفين لنا: كيف تعود كفّار الملة بعد الموت إلى طغيانهم وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ وتيقنوا بذلك أنّهم مبطلون، فقلت له: ليس ذلك بأعجب من الكفّار الذين يشاهدون في البرزخ ما حلّ بهم من العذاب فيها ويعلمون ضرورة بعد الموافقة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدّنيا؛ فيقولون حينئذ: ﴿يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾ (الأنعام: ٢٧) فقال الله - عزّ وجلّ -: ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون﴾ (الأنعام: ٢٨) فلم يبق للمخالف بعد هذا الاحتجاج شبهة يتعلّق بها فيما ذكرناه؛ والمثّة لله. ج.

وقد اختلف أصحابنا - رضي الله عنهم - فيمن ينعم ويعذب بعد موته (١)؛ فقال بعضهم: المعذب والمنعم هو الروح التي توجه إليها الأمر والنهي والتكليف، وسموها «جوهرًا».

وقال آخرون: بل الروح الحياة، جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا، وكلا الأمرين يجوزان في العقل (٢)، والأظهر عندي قول من قال إنها الجوهر المخاطب، وهو الذي يسميه (٣) الفلاسفة «البيسط».

وقد جاء في الحديث (٤) أن الأنبياء - صلوات الله عليهم - خاصة والأئمة عليهم السلام - من بعدهم يُنقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء؛ فيتنعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا. وهذا خاص بحجج الله تعالى دون من سواهم من الناس.

وقد روي عن النبي ﷺ (٥) أنه قال: من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ من بعيد بلغته، وقال ﷺ: من صلى عليّ مرة صلّيت عليه عشرًا، ومن صلى عليّ عشرًا صلّيت عليه مائة، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليّ أو فليقل (٦). فبيّن أنه ﷺ بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه، ولا يكون كذلك إلا وهو حيّ عند الله تعالى، وكذلك أئمة الهدى - عليهم السلام - يسمعون سلام المسلم عليهم من قرب، ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الآثار الصادقة

(١) «ق»: الموت.

(٢) «ح» «ق»: العقول.

(٣) «ح»: تُسميه.

(٤) بحار الأنوار ٥٨: ٨٢ و ٨٣.

(٥) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣.

(٦) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣.

عنهم - عليهم السلام - (١).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ (٢) الآية.

وروي عن النبي ﷺ (٣) أنه وقف على قلب (٤) بدر (٥) فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذٍ وقد ألقوا في القلب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله؛ أخرجتموه من منزله (٦) وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهم (٧) قد صديت (٨)؟ فقال له: مه يا ابن الخطاب! فوالله ما أنت بأسمع منهم؛ وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع (٩) الحديد إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم (١٠).

(١) بحار الأنوار ٥٨: ٨٣. (٢) آل عمران: ١٧٠.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٥٤. (٤) القلب: البشر.

(٥) بدر اسم بشر كانت لرجل يدعى بدرأ، قال حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ (المتوفى سنة ٥٠ هـ).

يناديهم رسول الله لما	قذفناهم كباكب في القلب
ألم تجدوا حديثي كان حقاً؟	وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا	صدقت وكنت ذا رأي مصيب

أنظر (شرح ديوان حسان - ص ١٧ ط مصر) للأستاذ عبد الرحمان البرقوقي. وإلى (أعيان الشيعة - ص ١٦٧ ج ٢ ط ١ دمشق) للعلامة الامام الأمين العاملي. ج.

(٦) «ق»: بلده، «ح»: مولده.

(٧) جمع الهامة: تطلق على الجنة.

(٨) أي ماتت.

(٩) جمع المقمعة: خشبة أو حديدة يضرب بها الانسان ليزل.

(١٠) بحار الأنوار ٦: ٢٥٥. أنظر (البداية والنهاية - ص ١٣٧ - ١٣٨ ج ١ ط مصر) لابن كثير

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - ^(١) أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار ^(٢) يتخلّل بين الصفوف حتى مرّ على كعب بن سورة - وكان هذا قاضي البصرة ولآه إياها عمر بن الخطاب، فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر وعثمان، فلما وقعت الفتنة بالبصرة علّق في عنقه مصحفاً وخرج بأهله وولده يُقاتل أمير المؤمنين؛ فقتلوا بأجمعهم - فوقف عليه أمير المؤمنين - عليه السلام - وهو صريع بين القتلى، فقال: أجلسوا كعب بن سورة، فأجلس بين نفسين، وقال له: يا كعب بن سورة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً. وسار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبد الله صريعاً، فقال: أجلسوا طلحة، فأجلسوه، فقال: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا طلحة، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: مه يا رجل، فوالله لقد سمعوا كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله ﷺ ^(٤).

وهذا من الأخبار الدالّة على أنّ بعض من يموت تُردّ إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه، وليس ذلك بعامّ في كلّ من يموت، بل هو على ما بيّناه ^(٥).

(١) بحار الأنوار ٦: ٢٥٥.

(٢) «ز» «ق» «ش»: فسار.

(٣) «ح» «ش»: عُبيد.

(٤) أنظر كتاب (الجمال - أو - النصر في حرب البصرة - ص ١٩٤ - ٥ ط ١ نجف) للمؤلف قده. ج.

(٥) بحار الأنوار ٦: ٢٥٥.

فصل: فيما وصف به الشيخ أبو جعفر الموت

قال أبو جعفر ^(١): باب الموت؛ قيل لأمر المؤمنين... إلى آخره ^(٢).
قال الشيخ أبو عبد الله ^(٣): ترجم الباب بالموت وذكر غيره، وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت أو يترجم الباب بمآل الموت وعاقبة الأموات، فالموت؛ هو يضاد الحياة، يبطل معه النمو ويستحيل معه الاحساس، وهو محل ^(٤) الحياة فينفيها، وهو من فعل الله تعالى وليس لأحد فيه صنع ولا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى.

قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ^(٥)، فأضاف الإحياء [إلى نفسه، وأضاف الإمامة إليها] ^(٦).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^(٧)
فالحياة ما كان بها النمو والاحساس وتصح معها القدرة والعلم، والموت ما

(١) معاني الأخبار: ٢٨٨، وعنه في البحار ٦: ١٦٧ / ٤٠.

(٢) الاعتقادات ص ٥١.

(٣) بحار الأنوار ٦: ١٦٧.

(٤) «ح» «ق»: محل محل.

(٥) المؤمن: ٦٨.

(٦) في المطبوعة: والإمامة إلى نفسه.

(٧) الملك: ٢.

استحال معه النمو والإحساس ولم تصحّ معه القدرة والعلم، وفعل الله تعالى الموت بالأحياء لينقلهم^(١) من دار العمل والامتحان إلى دار الجزاء والمكافأة، وليس يُميت الله عبداً من عبده^(٢) إلا وإماتته أصلح له من بقائه، ولا يُحييه إلاّ وحياته أصلح له من موته، وكلّ ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير.

وقد يمتحن الله تعالى كثيراً من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت، ويعفي آخرين من ذلك^(٣)، وقد يكون الألم المتقدم للموت [ضرباً من]^(٤) العقوبة لمن حل به، ويكون استصلاحاً له ولغيره، ويعقبه نفعاً عظيماً، وعوضاً كثيراً^(٥)، وليس كلّ من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقباً، ولا كلّ من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرماً مثاباً.

وقد ورد الخبر بأنّ الآلام التي تتقدّم الموت تكون كفّارات لذنوب المؤمنين، وتكون عقاباً للكافرين، وتكون الرّاحة قبل الموت استدراجاً^(٦) للكافرين، وضرباً من ثواب المؤمنين^(٧). وهذا أمر مغيب عن الخلق، لم يُظهر الله تعالى أحداً من خلقه على إرادته فيه تبييناً له، حتّى يتميّز^(٨) له حال الامتحان من^(٩) حال

(١) في بقیة النسخ: لنقلهم.

(٢) «ق»: عباده.

(٣) بحار الأنوار ٦: ١٦٨.

(٤) «ز»: من باب.

(٥) «ح»: كبيراً.

(٦) استدراجه: خدعه، واستدراج الله للعبد أنّه كلّما جدّد خطيئته جدّد له نعمة وأنساه الاستغفار فيأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته، أنظر (مجمع البحرين - درج). ج.

(٧) بحار الأنوار ٦: ١٦٨.

(٨) «أ» «ز» «ش»: يميّز.

(٩) «ق»: عن.

العقاب، وحال الثواب من حال الاستدراج، وتغليظاً للمحنة ليتمّ التدبير الحكيم^(١) في الخلق.

فأمّا ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم، فقد جاءت الآثار به على التفصيل.

وقد أورد بعض ما جاء في ذلك إلاّ أنّه ليس ممّا ترجم به الباب في شيء، والموت على كل حال أحد بشارات المؤمن؛ إذ كان أوّل طريقه إلى محلّ النعيم، وبه يصل ثواب الأعمال الجميلة في الدنّيا^(٢)، وهو أوّل شدّة تلحق الكافر^(٣) من شدائد العذاب^(٤)، وأوّل طريقه إلى حلول العقاب^(٥)، إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده وصيّره سبباً لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء، وحال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله، وحال الكافر بعد مماته^(٦) أسوأ من حاله قبله، إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته، والكافر صائر إلى جزائه بعد مماته^(٧).

وقد جاء في الحديث عن آل محمد — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أنّهم قالوا: الدنّيا سجن المؤمن، والقبر بيته، والجنّة مأواه، والدنّيا جنّة الكافر،

(١) «أ» «ح» «ز» «ش»: الحكيم.

(٢) بحار الأنوار ٦: ١٦٨.

(٣) «ش» «ز» «ق»: الكافرين.

(٤) في بقية النسخ: العقاب.

(٥) «ز»: العذاب.

(٦) في بقية النسخ: موته.

(٧) بحار الأنوار ٦: ١٦٩.

والقبر سجنه، والنار مأواه^(١)(٢).

وروي عنهم - عليهم السلام - أنهم قالوا: الخير كله بعد الموت، والشر كله بعد الموت. ولا حاجة بنا مع نص القرآن بالعواقب إلى الأخبار، [ومع شاهد]^(٣) العقول إلى الأحاديث.

وقد ذكر الله تعالى جزاء الصالحين فينته، وذكر عقاب الفاسقين ففصله، وفي بيان الله سبحانه وتفصيله غنى عما سواه.

(١) قال العلامة المحقق، كعبة الأدباء، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي (المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ) في «الكشكول» ص ٢٩٥ ط ٢ نجم الدولة: رأى يهودي الحسن بن علي - عليه السلام - في أبيه زي وأحسنه، واليهودي في حال رديء وأسماه رثة، فقال: أليس قال رسولكم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ قال: نعم، فقال: هذا حالي وهذا حالك؟! فقال - عليه السلام - : غلظت يا أخا اليهود؛ لو رأيت ما وعدني الله من الثواب وما أعد لك من العقاب لعلمت أنك في الجنة وأنت في السجن!

وقال العلامة المدقق الحاج الملا محمد مهدي التراقي (المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ) في كتاب «مشكلات العلوم» ص ٣١٨ ط إيران ١٣٠٥ هـ عند كلامه على توجيه الحديث: إن المؤمن وإن كان في الدنيا في نعيم وحسن حال، فإنه بالنسبة إلى حاله في الجنة في سجن وضيق وسوء حال، والكافر وإن كان في الدنيا في ضيق وسوء حال، فإنه بالنسبة إلى حاله في النار في جنة ونعيم، فيكون الحكمان للدنيا بالنسبة إلى الآخرة. ومثل هذا التوجيه مروى عن الحسن - عليه السلام - .ج.

(٢) بحار الأنوار ٦/١٦٩: ٤١، ٤٢.

(٣) في بعض النسخ: وبشاهد.

فصل: في المساءلة في القبر (*)

قال أبو جعفر: اعتقادنا في المساءلة في القبر أنها حق^(١)،^(٢)

(*) قال المؤلف قده في ضمن جوابه عن المسألة الخامسة من المسائل السروية: فأما كيفية عذاب الكافر في قبره وتنعم المؤمن فيه، فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته، ينعمه فيه إلى يوم الساعة فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمر به إلى جنة الخلد، ولا يزال منعماً ببقاء الله عز وجل (بابقاء الله - ظ) غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا بل يعدل طباعه ويحسن صورته ولا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب، والكافر يجعل في قالب كقالبه في محل عذاب يعاقب ونار يعذب بها حتى الساعة ثم ينشئ جسده الذي فارقه في القبر فيعاد إليه فيعذب به في الآخرة عذاب الأبد ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه وقد قال الله عز وجل: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (سورة المؤمن: ٤٦) وقال في قصة الشهداء: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران: ١٧٠) وهذا قد مضى في ما تقدم فدل على أن الثواب والعذاب يكون قبل يوم القيمة وبعدها، والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح والجسد في الدنيا والروح هي هنا عبارة عن الفعال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة يصح عليها العلم والقدرة لأن هذه الحياة عرض لا تبقى ولا يصح عليها الاعادة، فهذا ماعول عليه أهل النقل وجاء به الخبر على ما بيناه.

أنظر الصفحة ٤٠ - ٤٢ من هذا الكتاب. طبع ١٣٧١ ج. فأخبر أنهم أحياء وإن كانت أجسادهم على وجه الأرض أموات لا حياة فيها. منه ره.

(١) الاعتقادات ص ٥٨.

(٢) عنه في البحار ٦: ٢٧٩ - ٢٨٠ و ٥٣: ١٢٨ - ١٣٠.

قال أبو عبد الله الشيخ المفيد - رضي الله عنه -: الذي ذكره أبو جعفر غير مفيد^(١) لما تصدق^(٢) الحاجة إليه في المساءلة والغرض منها، والذي يجب أن يُذكر^(٣) في هذا المعنى ما أنا مُثبتة إن شاء الله تعالى.

جاءت الآثار الصحيحة عن النبي ﷺ^(٤) أن الملائكة تنزل^(٥) على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة؛ فمنها أن ملكين لله تعالى يُقال لهما: ناكِر ونكير، ينزلان على الميت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه، فإن أجاب بالحق سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن ارتج^(٦) عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب.

وقيل في بعض الأخبار^(٧): إن اسمي الملكين اللذين ينزلان على الكافر: ناكِر ونكير، واسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن: مبشّر وبشير، وقيل: إنه إنهما سُمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً، لأنه ينكر الحقّ وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمي ملكا المؤمن مبشّراً وبشيراً، لأنهما يبشّرانه بالنعيم، ويبشّرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم. وإن هذين الإسمين ليسا بلقب^(٨) لهما،

(١) «ز» «ش»: جيّد.

(٢) في المطبوعة: يقصد.

(٣) «أ»: يذكره.

(٤) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٥) «ز»: تنزل.

(٦) رتج وارتج الباب: أغلقه، ارتج على الخطيب: استغلق عليه الكلام، أنظر (مجمع البحرين - رتج) لفخر الدين الطريحي، أيضاً. ج.

(٧) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٨) «ق»: تلقياً.

وإتّهما^(١) عبارة عن فعلهما.

وهذه أمور يتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها، والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر فيها، وقد قلنا فيما سلف أنه إنّما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهمى عنه^(٢)، وبيّنا أنّ الخبر جاء بذلك؛ فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه^(٣).

فصل:

وليس ينزل الملكان إلا على حيّ، ولا يسألان إلا من يفهم المسألة^(٤) ويعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله تعالى يُحيي العبد بعد موته للمساءلة^(٥)، ويُديم حياته لنعيم إن كان يستحقّه، أو لعذاب إن كان يستحقّه. نعوذ بالله من سخطه، ونسأله التوفيق لما يُرضيه برحمته^(٦).

والغرض من نزول الملكين ومساءلتها العبد أنّ الله تعالى يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم أو ملائكة العذاب، وليس للملائكة طريق إلى علم ما يستحقّه العبد إلا بإعلام^(٧) الله تعالى ذلك لهم؛ فالملكان اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم والآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا لما وُكلا به

(١) «ح» «ق»: وإتّها هو. والأنسب في السياق: وإتّهما.

(٢) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٤) في بقية النسخ: للمساءلة.

(٥) في بقية النسخ: المسألة.

(٦) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠.

(٧) «ز»: بإلهام.

استفهما حال العبد بالمساءلة^(١)، فإن أجاب بما يستحق به النعيم قام بذلك ملك النعيم وعرج عنه ملك العذاب، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه^(٢) العذاب^(٣)، وكل به ملك العذاب وعرج عنه ملك النعيم.

وقد قيل: إن الملائكة الموكلين بالنعيم والعذاب^(٤) غير الملكين الموكلين بالمساءلة، وإنما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العذاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا سألا العبد وظهر منه ما يستحق به الجزاء تولّى منه ذلك ملائكة الجزاء وعرج ملكا المساءلة إلى مكانها من السماء. وهذا كله جائز، ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه؛ إذ الأخبار فيه متكافئة والعبارة لنا في معنى ما ذكرناه الوقف والتجويز^(٥).

فصل:

وإنما وكل الله تعالى ملائكة المساءلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك، كما وكل الكتبة من الملائكة بحفظ أعمال الخلق^(٦) وكتبها ونسخها ورفعها تعبداً لهم بذلك، وكما تعبد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم، وطائفة منهم بإهلاك الأمم، وطائفة^(٧) بحمل العرش، وطائفة بالطواف حول

(١) في بقية النسخ: بالمساءلة.

(٢) «ق»: استحقاق.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٨٠ و ٢٨١.

(٤) «ح»: والعقاب.

(٥) بحار الأنوار ٦: ٢٨١.

(٦) «ح»: الخلائق.

(٧) «ز» زيادة: منهم.

البيت المعمور، وطائفة بالتسبيح، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين، وطائفة بتنعيم أهل الجنة، وطائفة بتعذيب أهل النار [والتعبّد لهم] ^(١) بذلك ليشيهم ^(٢) عليها. ولم يتعبّد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبّد البشر والجن بما تعبّدهم به لعباً، بل تعبّد الكلّ للجزاء، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النعمة ^(٣) عليهم.

وقد كان الله تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة، وينعم المطيع من غير واسطة، لكنّه سبحانه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه وبيننا وجه الحكمة فيه ووصفناه، وطريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السّمع، وطريق العلم برّد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل؛ إذ لا يصحّ مساءلة الأموات واستخبار الجماد ^(٤) ^(٥).

وإنّما يحسن الكلام للحيّ العاقل لما يكلم به، وتقديره وإلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مساءل تردّ إليه الحياة عند مساءلته ^(٦) ليفهم ما يُقال له، فالخبر بذلك ^(٧) يؤكّد ما في العقل، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجّة العقل فيه على ما بيّناه ^(٨).

(١) في المطبوعة: وتعبدّهم.

(٢) «ح» «ق» زيادة: على الأعمال التي يؤدّون بها التكليف كما تعبّد البشر والجنّ بالأعمال ليشيهم.

(٣) (٥): النعم.

(٤) في المطبوعة: الجمادات.

(٥) بحار الأنوار ٦: ٢٨١.

(٦) في بقية النسخ: مساءلتهم.

(٧) في بعض النسخ: أكّد.

(٨) بحار الأنوار ٦: ٢٨١.

فصل: فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في العدل

قال أبو جعفر: باب الاعتقاد في العدل... إلى آخره^(١) ^(٢).

قال الشيخ المفيد أبو عبد الله - رحمه الله: العدل؛ هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه، والظلم؛ هو منع الحقوق، والله تعالى عدل كريم جواد متفضل رحيم، قد ضمن الجزاء على الأعمال، والعوض^(٣) على المبتدئ من الآلام، ووعده التفضل بعد ذلك بزيادة من عنده.

فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٤) الآية، فخبّر أنّ للمحسنين الثواب المستحق وزيادة من عنده وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٥) يريد أنه لا يُجازيه بأكثر مما يستحقه، ثم ضمن بعد ذلك العفو ووعده بالغفران.

(١) الاعتقادات ص ٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٣٣٥/٢.

(٣) بحار الأنوار ٥: ٣٣٥.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) الأنعام: ١٦٠.

وقال التراقي الأول - قدس سره - في كتابه «مشكلات العلوم ص ١٦٢» عند كلامه على تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران: ١٨٢): إِنَّ صِيغَةَ الْمَبَالِغَةِ إِنَّمَا جِيءَ بِهَا لِكثْرَةِ الْعَبِيدِ لَا لِكثْرَةِ الظُّلْمِ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّ الظُّلْمَ عَلَى الْجَمْعِ الْكَثِيرِ يَكُونُ ﴿﴾

فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(٣) والحق الذي للعبد هو ما جعله الله تعالى حقاً له واقتضاه [جود الله وكرمه]^(٤)، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حق، لأنه تعالى ابتداء خلقه بالنعم وأوجب عليهم بها الشكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل، ولا يشكره أحد إلا وهو مقصر بالشكر عن حق النعمة.

وقد أجمع أهل القبله^(٥) على أن من قال: إني وفيت^(٦) جميع ما لله تعالى عليّ وكافأت نعمه بالشكر، فهو ضالّ، وأجمعوا على أنهم مقصرون عن حق الشكر، وأن الله عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا لله سبحانه بما

كثير الظلم نظراً إلى كثرة المظلومين، فيصح الإتيان بصيغة المبالغة الدالة على كثرة أفراد الظلم نظراً إلى كثرة أفراد المظلوم، فمن كانت عبيده كثيرة فإن كان يظلم الكلّ فالأنسب به اسم الظلام دون الظالم، فإذا لم يكن ظالماً لشيء منهم فاللّازم نفي الظلام عنه؛ إذ لو فرض صدور الظلم منه لكان ظلاماً لا ظالماً. ولذا إذا أفرد المفعول لا يؤتى بصيغة المبالغة، ومع كونه جمعاً يؤتى بها؛ كقوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ و ﴿علام الغيوب﴾ وقولهم: زيد ظالم لعبده، وزيد ظالم لعبده.

والحاصل: أن صيغة المبالغة هنا لكثرة المفعول لا لتكرار الفعل. ج.

(١) الرعد: ٦.

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) يونس: ٥٨.

(٤) ز: جوده أو كرمه.

(٥) ح: العقل.

(٦) بحار الأنوار ٥: ٣٣٥.

لَهُ عَلَيْهِم، فدلّ ذلك على أنّ ما جعله حقّاً لهم فإنّما جعله بفضله وجوده وكرمه. ولأنّ حال العامل الشّاكر بخلاف حال من لا عمل له في العقول، وذلك أنّ الشّاكر يستحقّ في العقول الحمد، ومن لا عمل له فليس في العقول له حمد، وإذا ثبت الفضل^(١) بين العامل ومن لا عمل له^(٢) كان ما يجب في العقول من حمده^(٣) هو الذي يحكم عليه بحقه ويشار إليه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مزيّة على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعله^(٤) في العقول له حقّاً.

وقد أمر الله تعالى بالعدل ونهى عن الجور، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ﴾ (٥) (٦).

(١) في بعض النسخ: الفصل.

(٢) بحار الأنوار ٥: ٣٣٦.

(٣) «ق»: الحمد.

(٤) «ز»: جعل.

(٥) النحل: ٩٠.

(٦) بحار الأنوار ٥: ٣٣٦.

فصل: في الأعراف

قال أبو جعفر: اعتقدنا في الأعراف أنه سور... إلى آخره^(١)(٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: قد قيل إن الأعراف جبل بين الجنة والنار. وقيل أيضاً: إنه سور بين الجنة والنار. وجملة الأمر في ذلك: أنه مكان ليس من الجنة ولا من النار^(٣).

وقد جاء الخبر بما ذكرناه، وأنه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام وهم الذين عنى الله سبحانه بقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(٤) وذلك أن الله تعالى يعلمهم أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم - وهي العلامات - وقد بيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ و ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾^(٥)(٦).

(١) الاعتقادات ص ٧٠.

(٢) عنه في البحار ٨: ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

(٤) الأعراف: ٤٦.

(٥) الرحمن: ٤١.

(٦) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾^(١) فأخبر أنّ في خلقه طائفة يتوسّمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم. وروى عن أمير المؤمنين - عليه السلام - أنّه قال في بعض كلامه: أنا صاحب العصا والميسم. يعني: علمه بمن يعلم حاله بالتوسّم.

وروي عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر - عليه السلام - أنّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: فينا نزلت أهل البيت. يعني: في الأئمة - عليهم السلام - .

وقد جاء الحديث بأنّ الله تعالى يُسكن الأعراف طائفة من الخلق^(٢) لم يستحقّوا بأعمالهم الجنة على الثبات من غير عقاب، ولا استحقّوا الخلود في النار، وهم المرجون لأمر الله، ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتّى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة من بعده - عليهم السلام - .

وقيل أيضاً: إنّ مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقّون بأعمالهم جنةً وناراً، فيسكنهم الله ذلك المكان ويعوّضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون به منازل أهل الثواب المستحقّين له بالأعمال^(٣). وكلّ ما ذكرناه جائز في العقول.

وقد وردت به أخبار - والله أعلم بالحقيقة من ذلك - إلا أنّ المقطوع به في جملته أنّ الأعراف مكان بين الجنة والنار، يقف فيه من سمّيناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكون به يوم القيامة قوم من المرجين لأمر الله، وما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه^(٤).

(١) الحج: ٧٥-٧٦.

(٢) بحار الأنوار ٨: ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٣٤١.

(٤) بحار الأنوار ٨: ٣٤١.

فصل: في الصّراط

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الصّراط أنّه حقّ، وأنّه جسر^(١)(٢).

قال الشّيخ المفيد أبو عبد الله - رحمه الله -: الصّراط في اللّغة هو الطّريق، فلذلك سُمّي الدّين صراطاً، لأنّه طريق إلى الصّواب، [وله سُمّي] ^(٣)الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذريّته - عليهم السّلام - صراطاً^(٤).

ومن معناه قال أمير المؤمنين - عليه السّلام -: أنا صراط الله المستقيم، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها. يعني: أنّ معرفته والتّمسك به طريق إلى الله سبحانه. وقد جاء الخبر بأنّ الطّريق يوم القيامة إلى الجنّة كالجسر يمرّ به النّاس، وهو الصّراط الذي يقف عن يمينه رسول الله ﷺ وعن شماله أمير المؤمنين - عليه السّلام - ويأتيها النّداء من قبل الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٥) وجاء الخبر أنّه لا يعبر الصّراط يوم القيامة إلّا من كان معه براءة^(٦) من عليّ بن أبي طالب - عليه السّلام - من النّار^(٧).

(١) الاعتقادات ص ٧٠.

(٢) عنه في البحار ٨: ٧٠.

(٣) «ق» وبه يُسمّى.

(٤) بحار الأنوار ٨: ٧٠.

(٥) ق: ٢٤.

(٦) برات: يعني الفرمان الملكي. ج.

(٧) بحار الأنوار ٨: ٧٠.

وجاء الخبر بأن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف على الكافر^(١).
والمراد بذلك أنه لا تثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما

(١) قال العلامة الشهرستاني في مجلة «المرشد» ص ١٧٩ - ١٨٠ ج ١ في جواب هذا السؤال:
من الوارد في الأخبار الماثورة عن الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، فأبي معنى
يقصد من الشعرة والسيف؟

الجواب: لم يفصل كتاب الله الحكيم من هذا القبيل شيئاً، وقد استعمل لفظ الصراط بمعنى
الطريق والمسلك المؤدي إلى غاية قدسية مرغوبة؛ استعارة تمثل شرع الحق المؤدي إلى جنانه
ورضوانه بالصراط.

نعم؛ تضمنت تفاصيل السؤال بعض مرويات قاصرة الإسناد - ولا ضير - فقد وردت في
شرحها أحاديث أخرى عن أئمة الإسلام تفسر الصراط الممدود بين النار والجنة كالشعرة دقة،
وكالسيف حدة بسيرة الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام -.

والحديث المجمع على صحته ناطق بأن علياً - عليه السلام - قسيم النار والجنة، وأن طريقته
المثلى هي المسلك الوحيد المفضي إلى الجنان والرضوان.

ومعلوم لدى الخبراء أن سيرة علي - عليه السلام - كانت أدق من الشعرة، فإنه - عليه السلام - ساوى
في العطاء بين أكابر الصحابة الكرام، كسهل بن حنيف، وبين أدنى مواليتهم، وكان يقص من
أحكام ثيابه لاكتساء عبده، ويحمل إلى اليتامى والأيتامى أرزاقهم على ظهره في منتصف الليل،
ويُشيع الفقراء ويبيت طاوي الحشا، ويختار لنفسه من الطعام ما جشِب، ومن اللباس ما خشن،
ويوزع مال الله على عباد الله في كل جمعة ثم يكنس بيت المال ويصلّي فيه، وهو يعيش على
غرس يمينه وكذب يده، وحاسب أخاه عقيلاً بأدق من الشعرة في قصته المشهورة*، وطالب
شريحاً القاضي أن يساوي بينه وبين خصمه الإسرائيلي عند المحاكمة. إلى غير ذلك من مظاهر
ترويضه النفس والزهد البليغ، حتى غدا الاقتداء به في إمامة المسلمين فوق الطوق.

وكما كانت سيرة علي - عليه السلام - أدق من الشعرة كانت مشايعته في الخطورة أحد من
السيف، نظراً إلى مزالق الأهواء والشهوات، ومراقبة السلطات من بني أمية وتبتهم أولياء علي
- عليه السلام - وأشياعه وأتباعه تحت كل حجر ومدجج.

* أنظر (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - ص ٤٢١ - ٤٣٠ ج ٧ ط إيران على الحجر)
للعلامة المحقق الأديب والفقير المتكلم الأريب الحاج ميرزا حبيب الله الموسوي الخوئي

يلحقهم من أهوال يوم^(١) القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف. وهذا مثلٌ مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنة وطريق إلى النار، يشرف^(٢) العبد منه إلى الجنة^(٣) ويرى منه أهوال النار.

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) «ز»: يسير.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٧١.

بسم الآذربيجاني - ولما انجر الكلام إلى هذا المقام لا بأس بأن نشير إلى وجيز من ترجمة العلامة الخوئي - كما أفاد نفسه طاب رسمه - فنقول: قال في (مرآة الكتب - مخطوط): الحاج ميرزا حبيب الله من المعاصرين تشرفت بملاقاته في بلدة تبريز وكان مولده كما ذكره نفسه خامس شهر رجب سنة ١٢٦٥ هـ اشتغل بالتحصيل عند الاساتيد الفخام كالسيد العلامة الحاج السيد حسين الترك والمحقق الحاج ملا علي بن الحاج ميرزا خليل الطهراني وله اجازة عامة منها، وكان فاضلاً محققاً وله من المؤلفات: شرح نهج البلاغة، وحاشية على بعض أبواب القوانين في أربعة عشر ألف بيت، وكتاب منتخب الفن في حجية القطع والظن، وكتاب إحقاق الحق في تحقيق المشتق، وكتاب الجنة الواقية في أدعية نهار رمضان مع شرحها، وشرح كتاب القضاء والشهادات من الدروس. كذا أفاده سلمه الله. سافر في هذه الأواخر إلى طهران لعرض شرح نهج البلاغة على السلطان المغفور له مظفر الدين شاه واستدعاه أمره بطبعه فنال من السلطان المزبور احتراماً وأمر بطبع الكتاب ثم عرض العوارض وتوفي السلطان المزبور (سنة ١٣٢٤ هـ) وتوفي هو رحمه الله في طهران سنة ١٣٢٥ هـ ولم أقف هل طبع شيء من الكتاب أم لا؟.

أقول: وقد طبع الكتاب أخيراً بتبريز في سبعة أجزاء على النسخة التي كانت قد كتبت بمداد الطبع سنة ١٣٢٥ - ١٣٢٨ هـ بأمر ولد المؤلف العالم الحاج أمين الإسلام نزيل طهران، ويتتبع المطبوع منه إلى شرح الخطبة الثامنة والعشرين بعد المائتين، وقال كاتب النسخة في آخرها: «هذا آخر ما وفق الشارح بشرحه روح الله روحه وكتبته أنا حسب أمر ولده السيد السند الحاج أمين الإسلام... في ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ. هذا وقد ذكر لي نجل المؤلف السيد نعمه الله (هاشمي) أن أباه العلامة مات بطهران ونقل جثمانه إلى بلدة قم المشرفة ودفن هناك قدس الله سره ورحمه رحمة واسعة. ج.

وقد يعبر به عن الطريق المعوجّ فلهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾^(١) فميّز بين طريقه الذي دعا إلى سلوكه من الدّين، وبين طرق الضلال.

وقال الله تعالى فيما أمر به عباده من الدّعاء وتلاوة القرآن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) فدّل على أنّ ما سواه صراط غير مستقيم.

وصراط الله تعالى دين الله ، وصراط الشيطان طريق العصيان، والصراط في الأصل - على ما بيّناه - هو الطّريق، والصراط يوم القيامة هو الطّريق المسلك إلى الجنّة أو^(٣) النّار - على ما قدّمناه^(٤).

(١) الأنعام: ١٣٥.

(٢) الحمد: ٦.

(٣) في بقية النسخ: و.

(٤) بحار الأنوار ٨: ٧١.

فصل: في العقبات على طريق المحشر

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - في العقبات: اسم كل عقبة اسم فرض أو أمر أو نهي (١) (٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: العقبات عبارة عن الأعمال الواجبات (٣) والمساءلة عنها والمواقفة عليها، وليس المراد بها جبال في الأرض تقطع وإنما هي الأعمال شبهت (٤) بالعقبات، وجعل الوصف لما يلحق الإنسان في تخلصه من تقصيره (٥) في طاعة الله تعالى كالعقبة التي يجهد صعودها وقطعها (٦).

قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (٧) الآية، فسمى سبحانه الأعمال التي كلفها العبد عقبات تشبيهاً لها بالعقبات والجبال لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاق، كما يلحقه في صعود العقبات وقطعها.

(١) الاعتقادات ص ٧١.

(٢) بحار الأنوار ٧: ١٢٨ - ١٢٩ / ١١.

(٣) في المطبوعة: الواجبة.

(٤) «ح» «ش»: شبهها.

(٥) في المطبوعة: التقصير.

(٦) بحار الأنوار ٧: ١٢٩.

(٧) البلد: ١١ - ١٣.

قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : إن أمامكم عقبة كؤوداً^(١) ومنازل مهولة^(٢) ،
لابدّ من المرّ بها، والوقوف عليها؛ فإمّا برحمة من الله نجوتهم، وإمّا بهلكة ليس
بعدها انجبار^(٣)(٤) .

أراد - عليه السلام - بالعقبة: تخلّص الإنسان من التّبعات التي عليه، وليس كما
ظنّه الحشويّة من أنّ في الآخرة جبالاً وعقبات يحتاج الإنسان إلى قطعها ماشياً
وراكباً^(٥)، وذلك لا معنى له فيما توجبه الحكمة من الجزاء، ولا وجه لخلق عقبات
تسمّى بالصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ وغيرها من الفرائض، يسأم الإنسان أن
يصعدها، فإن كان مقصراً في طاعة الله حال ذلك بينه وبين صعودها؛ إذ كان
الغرض في القيامة الموافقة على الأعمال والجزاء عليها بالثواب والعقاب، وذلك
غير مفتقر إلى تسمية^(٦) عقبات وخلق جبال، وتكليف قطع ذلك وتصعيبه^(٧) أو
تسهيله مع أنّه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه وتخرج له
الوجوه، وإذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه^(٨) .

(١) صعبة شاقّة المصعد.

(٢) المهول: المخوف. ذو الهول.

(٣) انجبر: صلح بعد الكسر. ج.

(٤) نهج البلاغة/ الخطبة ٢٠٢.

(٥) بحار الأنوار ٧: ١٢٩.

(٦) «ح» «ش» «ق»: نسبة.

(٧) بحار الأنوار ٧: ١٣٠.

(٨) بحار الأنوار ٧: ١٣٠.

فصل: في الحساب والموازنين^(١)

قال الشيخ أبو جعفر: اعتقادنا في الحساب أنه حق^(٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: الحساب هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها، والمواقفة للعبد على ما فرط منه، والتوبيخ له على سيئاته، والحمد له على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه. وليس هو كما ذهب العامة إليه من مقابلة الحسنات بالسيئات والموازنة^(٣) بينهما على حسب استحقاق الثواب والعقاب عليهما، إذ كان التحابط بين الأعمال غير صحيح، ومذهب المعتزلة فيه باطل غير ثابت، وما اعتمده^(٤) الحشوية في معناه غير معقول.

والموازنين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كلّ جزء في موضعه، وإيصال كلّ ذي حقّ إلى حقه. فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو؛ من أن في القيامة موازين كموازن الدنيا، لكلّ ميزان كفتان توضع الأعمال فيها؛ إذ الأعمال أعراض^(٥)، والأعراض لا يصحّ وزنها، وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز، والمراد بذلك أنّ ما ثقل^(٦) منها هو ما

(١) في بعض النسخ: الميزان.

(٢) الاعتقادات ص ٧٣.

(٣) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

(٤) «أ» «ح» «ش» «ق»: يعتمده، «ز»: اعتمد.

(٥) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

(٦) «ز»: يثقل.

كثر واستحقَّ عليه عظيم الثواب، وما خفَّ منها ما قلَّ قدره ولم يستحقَّ عليه جزيل الثواب.

والخبر الوارد في أنَّ أمير المؤمنين والأئمة من ذرِّيته - عليهم السلام - هم الموازين، فالمراد أنَّهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحقُّ عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل. ويقال فلان عندي في ميزان فلان، ويراد به نظيره. ويقال: كلام فلان عندي ^(١) أوزن من كلام فلان ^(٢)، والمراد به أنَّ كلامه أعظم وأفضل قدراً، والذي ذكره الله تعالى في الحساب والخوف منه إنَّها هو الموافقة على الأعمال، لأنَّ من وقف على أعماله لم يتخلَّص من تبعاتها، ومن عفى الله تعالى عنه في ذلك فاز بالنجاة: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - بكثرة استحقاقه الثواب - فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ - بقلة أعمال ^(٣) الطاعات - فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ^(٤) والقرآن إنَّما أنزل بلغة العرب وحقيقة كلامها ومجازه، ولم ينزل على ألفاظ العامَّة وما سبق إلى قلوبها من الأباطيل ^(٥).

(١) «ق»: عندنا.

(٢) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

(٣) «ح» «ش» «ق»: أعماله.

(٤) المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) بحار الأنوار ٧: ٢٥٢.

فصل: في الجنة والنار (*)

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الجنة أنها دار البقاء (١)، (٢).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: الجنة؛ دار النعيم لا يلحق من دخلها نصب ولا يلحقهم فيها لغوب، و (٣) جعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه و عبده، [ونعيمها دائم] (٤) لا انقطاع له، والساكنون فيها على أضراب:

فمنهم: من أخلص لله تعالى، فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى.

ومنهم: من خلط عمله الصالح بأعماله (٥) السيئة كأن يسوف منها التوبة، فاخترته المنيّة قبل ذلك، فلحقه خوف من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله دون آجله، ثم سكن الجنة بعد [عفو الله أو عقابه] (٦)، (٧).

* أنظر كتاب (علم اليقين في أصول الدين - ص ٢٠٨ - ٢٠٩) للمحدّث القاشاني. ج.

(١) الاعتقادات ص ٧٦.

(٢) البحار ٨: ٢٠٠ - ٢٠١ / ٢٠٤ و ٨: ٣٢٤ - ٣٢٥ / ١٠٢.

(٣) ليست في «ز».

(٤) «ق»: وجعل نعيمها دائماً.

(٥) «ح» «أ» «ش»: بأعمال سيئة، «ق»: بالأعمال.

(٦) في بقية النسخ: عفو أو عقاب.

(٧) بحار الأنوار ٨: ٢٠١.

ومنهم: من يتفضل^(١) عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا، وهم الولدان المخلدون الذين جعل الله تعالى تصرفهم لحوائج أهل الجنة ثواباً للعاملين^(٢)، وليس في تصرفهم مشاق عليهم ولا كلفة، لأنهم مطبوعون إذ ذاك على المسار بتصرفهم في حوائج المؤمنين.

وثواب أهل الجنة الالتذاذ [بالمأكل والمشرب]^(٣) والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه، ويدركون مرادهم بالظفر به وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكّل ومشرب وما تدركه الحواس من الملهذذات.

وقول من يزعم^(٤): أن في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح والتتديس من دون الأكل والشرب، قول شاذّ عن دين الإسلام، وهو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون.

وقد أكذب الله سبحانه هذا القول في كتابه بما رغب العاملين^(٥) فيه من الأكل والشرب والنكاح، فقال تعالى: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾^(٦) الآية، وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٧) الآية، وقال تعالى:

(١) ح: تفضل.

(٢) أ: «ز» ق: العالمين.

(٣) ق: بالمأكل والمشرب.

(٤) أ: «ز»: زعم.

(٥) في بعض النسخ: العالمين.

(٦) الرعد: ٣٥.

(٧) محمد: ١٥.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٢) وقال سبحانه: ﴿وَرَوْجَانُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(٣) وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾^(٤) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾^(٥) الآية، وقال سبحانه: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾^(٦).

فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لا يأكلون ولا يشربون ويتنعمون بما به الخلق من الأعمال يتألمون، وكتاب الله تعالى شاهد بضد ذلك والإجماع على خلافه، لولا أن^(٧) قلّد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل على حديث موضوع^{(٨)؟!}

وأما النار؛ فهي [دار من]^(٩) جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه [بمعصية الله]^(١٠) تعالى، غير أنه لا يخلد فيها، بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلا الكافرون.

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(١١) يريد [بالصلي هاهنا]^(١٢) الخلود فيها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾^(١٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾^(١٤)

(١) الرحمن: ٧٢.

(٢) الواقعة: ٢٢.

(٣) الدخان: ٥٤.

(٤) ص: ٥٢.

(٥) يس: ٥٥.

(٦) البقرة: ٢٥.

(٧) «أ» «ح» «ق»: أنه.

(٨) بحار الأنوار ٨: ٢٠٢.

(٩) «ز»: دار القرار لمن.

(١٠) «ز»: بمعصيته.

(١١) الليل: ١٤-١٦.

(١٢) «ق»: بالأشقى هاهنا الكافر، وبالإصلاء.

(١٣) النساء: ٥٦.

(١٤) المائدة: ٣٦.

الآيتان. وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى بدلائل العقول والكتاب المسطور والخبر الظاهر المشهور والإجماع والرأي^(١) السابق لأهل البدع من أصحاب الوعيد.

[حَدِّ التَّكْفِيرِ]

فصل:

وليس يجوز أن يعرف الله تعالى من هو كافر به، ولا يجمله من هو به مؤمن، وكل كافر على أصولنا فهو جاهل بالله، ومن خالف أصول الإيمان من المصلين إلى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بالله سبحانه وإن أظهر القول بتوحيده تعالى، كما أن الكافر برسول الله ﷺ جاهل بالله وإن كان فيهم من يعترف بتوحيد الله تعالى ويتظاهر بما يوهم المستضعفين أنه معرفة بالله تعالى.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾^(٢) فأخرج بذلك المؤمن عن أحكام الكافرين، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٣) الآية، فنفي عمّن كفر بنبي الله ﷺ الإيمان، ولم يثبت له مع الشك فيه المعرفة بالله على حال.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤) فنفي الإيمان عن اليهود والنصارى، وحكم عليهم بالكفر والضلال^(٥).

(٢) الجن: ١٣.

(٤) التوبة: ٢٩.

(١) ليست في بقية النسخ.

(٣) النساء: ٦٥.

(٥) بحار الأنوار ٨: ٣٢٦.

فصل: في كيفية نزول الوحي

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - [في نزول الوحي] ^(١): اعتقادنا في ذلك ^(٢) أن بين عيني إسرافيل ^(٣) ... إلخ ^(٤)، ^(٥).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله ^(٦) - : هذا أخذه أبو جعفر - رحمه الله - من شواذ الحديث، وفيه خلاف لما قدمه من أن اللوح ملك من ملائكة الله تعالى. وأصل الوحي هو الكلام الخفي ^(٧)، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان [فيما يختص] ^(٨) به الرسل - صلى الله عليهم - خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي ﷺ.

(١) ليست في بقية النسخ.

(٢) (ز): اللوح.

(٣) (ق): زيادة: لوحاً، فإذا أراد الله تعالى أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح على جبين إسرافيل، فينظر فيه، وألقاه إلى ميكائيل، ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل، ويلقيه جبرئيل إلى الأنبياء.

(٤) الاعتقادات ص ٨١.

(٥) عنه في البحار ١٨: ٢٤٨ / ١.

(٦) بحار الأنوار ١٨: ٢٤٨.

(٧) بحار الأنوار ٢٦: ٨٣.

(٨) (ز): يختص.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^(١) الآية، فاتفق أهل الإسلام على أنّ الوحي كان رؤيا مناما أو كلاماً سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٢) الآية، يريد به الإلهام الخفي؛ إذ كان [خاصاً بمن]^(٣) أفرد به دون من سواه، فكان علمه حاصلًا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾^(٤) بمعنى ليوسوسون^(٥) إلى أوليائهم بما يلقونه من الكلام في أقصى أسماعهم، فيخصّون بعلمهم^(٦) دون من سواهم، وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾^(٧) يريد به أشار إليهم من غير إفصاح الكلام، شبه ذلك بالوحي لخفائه عمّن سوى المخاطبين، ولستره^(٨) عمّن سواهم.

وقد يُرى الله سبحانه وتعالى في المنام خلقاً كثيراً ما يصحّ تأويله [ويثبت حقّه]^(٩) لكنّه لا يُطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي، ولا يقال في هذا الوقت لمن طبعه^(١٠) الله على علم شيء أنّه يُوحى إليه. وعندنا أنّ الله تعالى يُسمع الحجج بعد نبيّه ﷺ كلاماً يُلقيه إليهم^(١١) في علم ما يكون، لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدّمناه^(١٢) من إجماع المسلمين على أنّه لا وحي [إلى أحد]^(١٣) بعد

(١) القصص: ٧.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) في بعض النسخ: خالصاً لمن.

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) «ح» «ز» «ق»: يوسوسون.

(٦) «ق»: بعلمه.

(٧) مريم: ١١.

(٨) «أ»: وستره، «ز» والمطبوعة: وستره.

(٩) في بعض النسخ: وثبت حقيقته.

(١٠) في بعض النسخ: أطلعه.

(١١) «ح» زيادة: أي الأوصياء.

(١٢) أنظر (أوائل المقالات ص ٧٨ الطبعة الأولى). ج.

(١٣) «ح»: لأحد.

نبيِّنا ﷺ، وأنه لا يُقال في شيء مما ذكرناه^(١) أنه وحى إلى أحد. والله تعالى أن يُبيح إطلاق الكلام أحياناً ويحظره أحياناً، ويمنع السمات^(٢) بشيء حيناً ويُطلقها حيناً. فأما المعاني؛ فإنها لا تتغير عن حقائقها على ما قدّمناه^(٣).

فصل :

قال الشيخ المفيد - رحمه الله تعالى -^(٤):

فأما الوحي من الله تعالى إلى نبيِّه ﷺ فقد كان تارة بإسماعه الكلام من غير واسطة، وتارة بإسماعه الكلام على ألسن الملائكة. والذي ذكره أبو جعفر - رحمه الله - من اللوح والقلم وما ثبت فيه فقد جاء به حديث، إلا أنا لا نعزم على القول^(٥) به، ولا نقطع على الله بصحّته، ولا نشهد منه إلا بما علمناه^(٦)، وليس الخبر به متواتراً يقطع العذر، ولا عليه إجماع، ولا نطق به القرآن، ولا ثبت عن حجة الله تعالى فينقاد له والوجه أن نقف فيه ونجوّزه ولا نقطع به ولا نجزم^(٧) له^(٨) ونجعل في حيز الممكن.

فأما قطع أبي جعفر به وعلمه على اعتقاده فهو يستند إلى ضرب من التقليد، ولسنا من التقليد في شيء^(٩).

(١) «ز»: ذكرنا.

(٢) في المطبوعة: السماع. في (المنجد - مادة وسم) السمة: مص. العلامة. اثر الكي ج سمات ج.

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ٨٤.

(٤) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

(٥) «أ»: القول.

(٦) «ق»: «ز»: علمنا.

(٧) كذا في المطبوعة، وفي النسخ المخطوطة بدل «نجزم» كلمة لا تقرأ فراجع.

(٨) كذا في جميع النسخ، والأنسب: به.

(٩) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

فصل: في نزول القرآن

قال الشيخ أبو جعفر - رحمه الله - ^(١)، ^(٢): إنَّ القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثم أنزل من البيت المعمور في مدّة عشرين سنة ^(٣)... إلخ ^(٤).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله - ^(٥): الذي ذهب إليه أبو جعفر في هذا الباب أصله حديث واحد لا يوجب علماً ولا عملاً ^(٦). ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً بحال ^(٧) يدلّ على خلاف ما تضمّنه الحديث، وذلك أنّه قد تضمّن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلّا

(١) الاعتقادات ص ٨٢.

(٢) عنه في البحار ١٨: ٢٥٠ - ٢٥١ / ٣.

(٣) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٠.

(٤) تمام الكلام: وإنَّ الله عزَّ وجلَّ أعطى نبيّه ﷺ العلم جملة، ثمَّ قال له: لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وقال: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنَّ علينا جمعه وقرآنه﴾ الآية (سورة القيامة - ١٧ - ١٨). ج.

(٥) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٢.

(٦) أنظر (أمالي السيد المرتضى - ص ١٦١ ج ٤ ط مصر) ج.

(٧) في المطبوعة: فحالاً.

بحدوثه عند السبب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(١) وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾^(٢) وهذا خبر عن ماضٍ، ولا يجوز أن يتقدّم مخبره، فيكون حينئذ جزءاً^(٣) عن ماضٍ وهو لم يقع بل هو في المستقبل. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

وقد جاء الخبر بذكر الظهار وسببه، وأنها^(٤) لما [جادلت النبي ﷺ] في ذكر الظهار أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٥) وهذه قصة^(٦) كانت بالمدينة فكيف ينزل الله تعالى الوحي بها بمكة قبل الهجرة، فيخبر بها أنها قد كانت ولم تكن!^(٧) ولو تتبعنا قصص القرآن لجاء مما ذكرناه^(٨) كثير لا يتسع به المقال، وفيما ذكرناه منه كفاية لذوي الألباب. وما أشبه ما جاء به الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً بالقرآن ومخبراً عما يكون بلفظ كان، وقد ردّ عليهم أهل التوحيد بنحو ما ذكرناه.

وقد يجوز في الخبر الوارد في نزول القرآن جملة في ليلة القدر بأن المراد أنه نزل جملة منه في ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي ﷺ فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر، فهو بعيد مما يقتضيه ظاهر القرآن و المتواتر من الأخبار وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء^(٩).

(٢) الزخرف: ٢٠.

(١) النساء: ١٥٥.

(٤) في بعض النسخ: وإنما.

(٣) في المطبوعة وبعض النسخ: خبراً.

(٦) المجادلة: ١.

(٥) ز: جادلته التي.

(٧) ق: قضية.

(٨) أنظر مجمع البيان ص ٢٤٦ ج ٥ ط صيدا للشيخ الطوسي ره ج .

(٩) ق: ذكرنا.

(١٠) أنظر تفسير المنار ص ١٧١ - ١٧٢ ج ٢ ط ١ مصرج .

فصل:

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (١)

ففيه وجهان غير ما ذكره أبو جعفر وعول فيه على حديث شاذ:

أحدهما: أن الله تعالى نهاه عن التسرع إلى تأويل القرآن قبل الوحي إليه به، وإن كان في الإمكان من جهة اللغة ما قالوه على مذهب أهل اللسان (٢).

والوجه الآخر: أن جبرئيل - عليه السلام - كان يوحى إليه بالقرآن فيتلوه معه

(١) طه: ١١٤.

قال العلامة الشهرستاني عند جوابه عن سؤال رفعناه إلى معاليه شعبان سنة ١٣٥٤ هـ، ما نصه: «الصواب في تفسيرها (أي تفسير الآية ١١٤ من سورة طه) هو الوجه الثالث كما ذكره المحقق الطبرسي * في (مجمع البيان) وذلك أن النبي ﷺ كان يتوقع نزول الوحي عليه يومياً وحول كل حادثة تأمينا لقلوب المؤمنين ومزيداً لعلمه فأوحى إليه سبحانه بهذه الآية قائلاً: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ يعني أن الله في مقام ملوكيته وحقانيته يتعالى شأنه عن خلف الوعد وعن خلاف الحق فينبغي أن تستقر قلوب المؤمنين به فلا موجب باستعجالك بنزول القرآن قبل أن يتحتم من الله اймаؤه كما لا موجب لا ستزادة علمك بنزول الآيات فقط بل يمكن ذلك بدعائك وطلب مزيد العلم من ربك، وعليه فالتعجيل بالقرآن هو الالحاح بنزوله ومعنى (يقضى إليك) تحتم نزوله إليه حسب ما يراه الله من المصلحة». اهـ، وأنظر ملحق (أمالي السيد المرتضى - ص ٣٩٥ ط طهران ١٢٧٢ هـ). ج.

(٢) أنظر كتاب أوائل المقالات ص ٥٥ ج.

* وما هو جدير بالتسطير: أن طبرس المنسوب إليه الامام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - من أكابر علماء الامامية وجهابذتهم في القرن السادس للهجرة - بسكون الباء الموحدة معرب (نفرش) من توابع قم، وليس مفتوح الباء منسوباً إلى طبرستان كما هو المشهور، يظهر ذلك من الفصل الذي عقده أبو الحسن علي بن زيد البيهقي الشهر باين فندق المتوفى سنة ٥٦٥ هـ في (تاريخ بيهق - ص ٢٤٢ ط طهران) لترجمته، وإن شئت مزيد التوضيح والتبيين فعليك ﴿﴾

حرفاً بحرف، فأمره الله تعالى أن لا يفعل ذلك ويُصنعي إلى ما يأتيه به جبرئيل، أو يُنزله الله تعالى عليه بغير واسطة حتى يحصل الفراغ منه، فإذا تمّ الوحي به تلاه ونطق به وقرأه.

فأما ما ذكره المعول على الحديث من التأويل فبعيد، لأنه لا وجه لنهي الله

﴿بالرجوع إلى المقالة التي دمجها يراعة العلامة أحمد (بهمنيار*) أستاذ جامعة طهران، وأدراجها في ذيل التاريخ المذكور (ص ٣٤٧-٣٥٣) فراجعها واغتنم وكن من الشاكرين.

وقال العلامة العاملي في (أعيان الشيعة - ص ٩٧ - ٩٨ ج ٩) في ترجمة الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي صاحب الاحتجاج: والأكثر أن يقال في النسبة إلى طبرستان طبري وفي النسبة إلى طبرية فلسطين طبراني على غير قياس للفرق بينها كما قالوا: صنعاني وبهراني وبحراني في النسبة إلى صنعاء وبهراء والبحرين، وما يقال إنه لم يسمع في النسبة إلى طبرستان طبري غير صحيح بل هو الأكثر ولو قيل أنه لم يسمع في النسبة إليها طبرسي لكان وجهاً لما في الرياض عن صاحب تاريخ قم المعاصر لابن العميد من أنّ طبرس ناحية معروفة حوالي قم مشتملة على قرى ومزارع كثيرة، وإنّ هذا الطبرسي وسائر العلماء المعروفين بالطبرسي منسوبون إليها، ويستشهد له بما عن الشهيد الثاني في حواشي ارشاد العلامة من نسبة بعض الأقوال إلى الشيخ علي بن حمزة الطبرسي القمي والله أعلم... في رياض العلماء أنّ هذا الطبرسي المترجم غير صاحب مجمع البيان لكنه معاصر له وهما شيخا ابن شهر آشوب وأستاذاه قال: وظنّي أنّ بينهما قرابة وكذا بينهما وبين الشيخ حسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبرسي المعاصر للخواجة نصير الدين الطوسي». وقد اختار هذا الرأي السيد صدیقنا العلامة السعيد محمد علي القاضي الطباطبائي التبريزي مدّ ظله - نزيل النجف الأشرف - فجاد يراعه الطاهر بمقال باهر حول كلمتي (طبرس - طبرسي) ونشر ذلك المقال القيم في مجلة (العرفان - ص ٣٧١ - ٣٧٥ ج ٣ مج ٣٩ ط صيدا - لبنان) تلك المجلة الراقية التي خدمت العلم والأدب عشرات الأعوام فاقسم لها مهرجان ذهبي في مدينة صيدا الجميلة هذا العام، ومؤسسها ومنشئها هو العلامة الأستاذ صدیقنا الشيخ أحمد عارف الزين ذلك الرجل المجاهد الذي طالما خدم الدين الاسلامي والمذهب الامامي يراعه الطاهر وقلمه القوي السيل. حفظه الله علماً للعلم والدين ج.

* اقرأ وجيزاً من ترجمته في كتابي (سخنوران إيران در عصر حاضر ص ١٦٥ ج ٢ ط هند) و (نثر فارسي معاصر - ص ٩٧ ط طهران). ج.

تعالى له عن العجلة بالقرآن الذي هو في السماء الرابعة حتى يقضى إليه وحيه، لأنه لم يكن محيطاً علماً بما في السماء الرابعة قبل الوحي به إليه، فلا معنى لنهيه عما ليس في إمكانه. اللهم إلا أن يقول قائل ذلك أنه كان محيطاً علماً بالقرآن المودع في السماء الرابعة، فينتقض كلامه ومذهبه، لأنه كان في السماء الرابعة لأن ما في صدر رسول الله ﷺ وحفظه في الأرض فلا معنى لاختصاصه بالسماء، ولو كان ما في حفظ رسول الله ﷺ يوصف بأنه في السماء الرابعة خاصة لكان ما في حفظ غيره موصوفاً بذلك، ولا وجه يكون حينئذ لإضافته إلى السماء الرابعة، ولا إلى السماء الأولى فضلاً عن السماء الرابعة! ومن تأمل ما ذكرناه علم أن تأويل الآية على ما ذكره المتعلق بالحديث بعيد عن (١) الصواب (٢).

(١) «ح» «ق»: من.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٣.

فصل: في العصمة

قال أبو جعفر - رحمه الله -: باب الاعتقاد في العصمة ^(١).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله - ^(٢): العصمة من الله تعالى لحججه ^(٣) هي التوفيق واللفظ والاعتصام من الحجج بها عن الذنوب والغلط في دين الله تعالى، والعصمة [تفضل من الله] ^(٤) تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة ^(٥) على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والأخيار.

(١) الاعتقادات ص ٩٦.

(٢) بحار الأنوار ١٧: ٩٦.

(٣) قال المصنف قده في رسالة (النكت الاعتقادية - ص ٤٥-٤٦ ط ٢ بغداد) فان قيل ما حد العصمة. والجواب - العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما. فان قيل ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره. والجواب - الدليل على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند اخباراته ولو عهد منه خطيئة * لتفرت العقول من متابعتها فتبطل فائدة البعثة . ج.

(٤) «ز» من تفضل الله.

(٥) «ز»: المقدرة.

* أما بعض الآيات وشواذ الأخبار المتضمنة نسبة الخطايا والمعاصي إلى الأنبياء أو إلى نبيينا عليه وعليهم السلام فقد أجاب عنها تلميذ المصنف أعني الشريف المرتضى في كتاب (تنزيه الأنبياء - ط إيران ونجف) . هبة الدين الحسيني.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ (١) الآية، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لِكِنِ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ﴾ (٣).

والأنبياء والأئمة - عليهم السلام - (٤) من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلها والصغائر، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترض إلا أن نبينا ﷺ والأئمة - عليهم السلام - من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب، والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها.

فصل (٥):

فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم، فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه.

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) ص ٤٧.

(٤) قال المصنف قده في رسالة (النكت الاعتقادية - ص ٤٨ - ٤٩ ط ٢): فان قيل ما الدليل على أن الامام يجب أن يكون معصوماً. والجواب - الدليل على ذلك من وجوه:
الأول: أنه لو جاز عليه الخطاء لافتقر إلى امام آخر يسدّه ثم نقل الكلام إليه ويتسلسل أو يثبت المطلوب.

الثاني: أنه لو جاز عليه فعل الخطيئة (فان) وجب الانكار عليه سقط محلّه من القلوب فلا يتبع، والغرض من نصبه اتباعه (فيتنقض الغرض) وإن لم يجب الانكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل.

الثالث: أنه حافظ للشرع فلو لم يكن معصوماً لم تؤمن منه الزيادة والنقصان. ج.

(٥) قال المؤلف - قدس سره - في جواب المسألة السادسة والثلاثين من المسائل العكبرية: إن الطاعة في وقت رسول الله ﷺ كانت له من جهة الإمامة دون غيره، والأمر له خاصة دون من سواه، ج.

وقد جاء الخبر بأن رسول الله ﷺ والأئمة - عليهم السلام - من ذرّيته كانوا حججاً لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، فإنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى - عليهما السلام - في حصول الكمال لهم مع صغر السنّ وقبل بلوغ الحلم. وهذا أمر تجوّزه العقول ولا تنكره، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل، والوجه أن نقطع على كمالهم - عليهم السلام - في العلم والعصمة في أحوال النبوّة والإمامة، ونتوقف فيما قبل ذلك، وهل كانت أحوال نبوّة وإمامة أم لا؟^(١) ونقطع على أنّ العصمة لازمة لهم منذ أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم - عليهم السلام -^(٢).

﴿ فلما قبض ﷺ صارت الإمامة من بعده لأمير المؤمنين - عليه السلام - ومن عداه من الناس كافة رعية له، فلما قبض - عليه السلام - صارت الإمامة للحسن بن عليّ، والحسين - عليه السلام - إذ ذاك رعية لأخيه الحسن - عليه السلام -، فلما قبض الحسن - عليه السلام - صار الحسين إماماً مفترض الطاعة على الأمام. وهكذا حكم كلّ إمام وخليفة في زمانه، ولم تشرك الجماعة في الإمامة معاً، وكانوا فيها على الترتيب الذي ذكرناه.﴾

فصل:

وقد ذهب قوم من أصحابنا الإمامية إلى أنّ الإمامة كانت لرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين - عليهم السلام - في وقت واحد، إلّا أنّ النطق والأمر والتدبير كان للنبيّ ﷺ مدّة حياته دونهم، وكذلك كان الأمر والتدبير لأمير المؤمنين دون الحسن والحسين، وجعل الإمام في وقت صاحبه صامتاً وجعل الأوّل ناطقاً. وهذا خلاف في العبارة، والأصل ما قدّمناه. ج (١) في هذه العبارة تأمل عن غموض، ويحتمل أن يكون عطفاً على (فيما قبل ذلك) فيكون المراد التوقّف في أمرين:

الأوّل: الحكم بكمال العلم والعصمة قبل البعثة وتصدي الإمامة.

والثاني: الحكم بفعلية الاتصاف بالنبوّة والإمامة قبل ذلك، ويحتمل أيضاً أن تكون الواو زائدة أو مستأنفة وكان تعليلاً للحكم بالتوقّف في كمال العلم والعصمة، وحاصل المعنى يلزم أن نتوقّف في الحكم بكمالهم في العلم والعصمة قبل البعثة وتصدي الإمامة بعلّة الشكّ في اتصافهم بالنبوّة والإمامة قبل ذلك. ج

فصل: في الغلو والتفويض

قال أبو جعفر: باب الاعتقاد في الغلو والتفويض ... إلى آخره^(١).
قال الشيخ المفيد - رحمه الله^(٢): الغلو في اللغة هو [التجاوز عن الحد]^(٣) والخروج عن القصد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٤) الآية، فنهى عن تجاوز الحد في المسيح، وحذر من الخروج عن القصد في القول، وجعل ما ادعته النصارى فيه غلوًا لتعديده الحد على ما بيّناه.

والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته - عليهم السلام - إلى الألوهية والنبوة، ووصفوه من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين - عليه السلام - بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة - عليهم السلام - عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام^(٥).

فصل:

فأمّا ما ذكره أبو جعفر - رحمه الله - من مضيّ نبينا والأئمة - عليهم السلام - بالسمّ والقتل، فمنه ما ثبت، ومنه ما لم يثبت، والمقطوع به أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين - عليهم السلام - خرجوا من الدنيا بالقتل ولم يمت أحدهم^(٦) حتف أنفه^(٧)،

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٤.

(٤) النساء: ٧١.

(٦) «ق» «ز»: أحد منهم.

(١) الاعتقادات ص ٩٧.

(٣) «أ» «ح» «ز» «ش» «ق»: تجاوز الحد.

(٥) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٧) بحار الأنوار ٢٧: ٢١٦.

ومَن مضى بعدهم مسموماً موسى بن جعفر - عليه السلام - ويقوى في النفس أمر الرضا - عليه السلام -^(١) وإن كان فيه شك، فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنهم سُمُوا أو اغتيلوا أو قتلوا صبراً، فالخبر بذلك يجري مجرى الإرجاف^(٢)، وليس إلى تيقنه سبيل^{(٣)(٤)}.

(١) أنظر «كشف الغمة» ص ٢٦٤ ط إيران ١٢٩٤ هـ «لبناء الذين عليّ بن عيسى الاربلي المتوفى سنة ٦٩٢ أو ٦٩٣، وإلى «البحار» ص ٩١ - ٩٢ ج ١٢ ط كمباني».

قال المحدث الفقيه الرباني الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ) في كتابه «الخدائق الناضرة» ص ٤٤٩ مجلد كتاب الحجّ ط تبريز: الإمام أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام - ... وقُبض بطوس في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة ... وبعض الأخبار يدلّ على أنّه قبض مسموماً سمّه المأمون العباسي. وإليه ذهب الصدوق - رحمه الله - وأكثر أصحابنا لم يذكره.

أنظر كتاب «أعيان الشيعة» ص ٢٠٥ - ٢١١ ج ٤ ق ٢ ط ١ دمشق «للعلامة السيّد محسن العاملي» - رحمه الله .

والعدد السابع من مجلّة «مهر» الفارسيّة - ص ٧٤٠ ط طهران ١٣١٣ ش هـ لستها الثانية، وإلى ذيل كتاب «تاريخ مختصر إيران» ص ٢٠ - ٢٤ ط طهران ١٣١٤ ش هـ. بقلم العلامة الدكتور صادق رضا زاده شفق استاذ جامعة طهران *.

* اقرأ مختصراً من ترجمته في كتابي (سخنوران إيران در عصر حاضر ج ٢ ط هند) و (نثر فارسي معاصر - ١٣٨ ط طهران).

(٢) أرفجف: خاض في الأخبار السيئة والفتن قصد أن يهيج الناس.

أنظر «مجمع البحرين» - رجعف «أيضاً» ج

(٣) بحار الأنوار ٢٧: ٢١٦.

(٤) قال الشيخ المفيد - رحمه الله - في كتاب «الأنساب والزيارات» من تأليفه النفيس «المقنعة» ص

٧٢ - ٧٥ ط ١٢٧٤ هـ:

وقبض (رسول الله ﷺ) مسموماً لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقبض (أمير المؤمنين - عليه السلام -) قتيلاً بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر

والمفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا^(١) به من سواهم من

﴿رمضان سنة أربعين للهجرة وله يومئذ ثلاث وستون سنة.

وقبض (الحسن بن عليّ - عليه السلام -) مسموماً بالمدينة في صفر سنة تسع وأربعين من الهجرة، فكان سنّه - عليه السلام - يومئذ سبعاً وأربعين سنة.

وقبض (الحسين بن عليّ - عليه السلام -) قتيلاً بطفّ كربلا من أرض العراق يوم الاثنين العاشر من المحرم قبل زوال الشمس سنة إحدى وستين من الهجرة، وله يومئذ ثمانين وخمسون سنة. وقبض (عليّ بن الحسين - عليه السلام -) بالمدينة سنة خمس وتسعين وله يومئذ سبع وخمسون سنة.

وفي «التّهذيب ص ٢٧ ج ٢ ط إيران»:

وقبض (محمد بن عليّ - عليه السلام -) بالمدينة سنة أربع عشرة ومائة، وكان سنّه يومئذ سبعاً وخمسين سنة.

وقبض (جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام -) بالمدينة في شوال سنة ثمانية وأربعين ومائة، وله يومئذ خمس وستون سنة.

وقبض (موسى بن جعفر - عليه السلام -) قتيلاً بالسّم ببغداد في حبس السّنديّ بن شاهك لسبب بقين من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وكان سنّه يومئذ خمسا وخمسين سنة.

وقبض (عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام -) بطوس من أرض خراسان في صفر سنة ثلاث ومائتين، وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة.

وقبض (محمد بن عليّ - عليه السلام -) ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة.

وقبض (عليّ بن محمد - عليه السلام -) بسرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وسبعة أشهر.

وقبض (الحسن بن عليّ - عليه السلام -) بسرّ من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، وكان سنّه يومئذ ثمانياً وعشرين سنة. انتهى ملخصاً.

هذا وقد قال المصنّف - رحمه الله - في كتابه «الإرشاد» في هذا الموضوع - أعني كيفية وفاة الأئمة الطاهرين ومدّة أعمارهم - بمثل ما قاله في كتابه «المقنعة» عيناً بدون تفاوت قيد شعرة معنيّ، فتدبر جيّداً. ج

(١) «ق»: خالفوا.

الغلاة اعترفهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم^(١)، ودعواهم أن الله سبحانه وتعالى تفرد بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال.

والحلّاجيّة ضرب من أصحاب التّصوّف، وهم أصحاب الإباحة والقول بالحللول، ولم يكن^(٢) الحلّاج^(٣) يتخصّص بإظهار التّشيع وإن كان ظاهر أمره التّصوّف، وهم قوم ملحدة وزنادقة يموّهون بمظاهرة كلّ فرقة بدينهم، ويدّعون للحلّاج الأباطيل، ويمجرون في ذلك مجرى المجوس^(٤) في دعواهم لزرادشت

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٢) في المطبوعة: وكان.

(٣) أنظر «الفهرست ص ٢٦٩ - ٢٧٢ ط مصر» لابن النديم ج

(٤) قال العلامة الكبير والأستاذ الشهير صاحب الفخامة مولانا أبو الكلام آزاد وزير معارف الهند المعظم في مجلّة «ثقافة الهند ص ١٣، سبتمبر ١٩٥٠ م» الجليليّة طي مقالته الممتعة حول (شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن) - التي حرّرت بغاية التّحقيق، وينبغي بل يلزم لأصحاب النّظر والعلم أن يرجعوا إليه - ما نصّه: وهنا ينبغي أن ننبّه على خطأ شائع: نطقوا كلمة «موغوش» في اللّغة العربيّة «مجوساً» وأطلقوها على أتباع الدّين الزّردشتي، ولم يكن في الأصل اسماً لهم، فقد ثبت الآن بلا ريب أنّه كان اسماً يعرف به أتباع الدّين الذي كان شائعاً في مادا قبل زردشت، فقد وردت الكلمة في أوستا كذلك، واستعملت في شأن معارضي زردشت، ولكن لما كان اشتهر أهل مادا في بلاد العرب والشّام باسم موغوش، أخذوا يسمّون به أتباع زردشت كذلك.

وقال أيضاً في ص ١١ من المجلّة: النطق الصّحيح لاسم زردشت في اللّغة البهلويّة «زاراتسترا»... إلى آخر مقاله القيم.

أنظر «البحار ص ٣٧٩ ج ٥ ط كمباني» و «أعيان الشّيعه ص ١٥٠ - ١٥١ ج ٢ ط ٢

المعجزات، ويجرى النَّصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبيّنات^(١)، والمجوس والنَّصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم، وهم أبعد من الشرائع والعمل بها من النَّصارى والمجوس.

فصل:

فأما نصّ أبي جعفر - رحمه الله -^(٢) بالغلوّ على من نسب مشايخ القمّيين وعلماهم إلى التّقصير، فليس نسبة هؤلاء القوم إلى التّقصير علامة على غلوّ النَّاس؛ إذ في جملة المشار إليهم بالشيخوخة والعلم من كان مقصّراً، وإنّما يجب الحكم بالغلوّ على من نسب المحقّين إلى التّقصير، سواء كانوا من أهل قم أم^(٣) غيرها من البلاد وسائر النَّاس.

وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمّد بن الحسن بن الوليد - رحمه الله - لم نجد لها دافعاً في التّقصير، وهي ما حكى عنه أنّه قال: أول درجة في الغلوّ نفي السّهو عن النَّبيِّ ﷺ والإمام^(٤) - عليه السلام - فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر، مع أنّه من علماء القمّيين ومشيختهم.

وقد وجدنا جماعة وردوا^(٥) إلينا من قم يقصرون تقصيراً ظاهراً في الدّين،

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٥.

(٣) «ز»: أو من، «ح»: أو.

(٤) أنظر ذيل كتاب «أوائل المقالات» طبع ١٣٧١ - ص ٣٦ و «مجمع البيان» - ص ٣١٧ ج ٢ ط صيدا» للشيخ الطبرسي. وكتاب «الوافي» - ص ١٤٣ ج ٥ ط ١٣٦٤ هـ «للمحدث القاشاني. ج.

(٥) «ح»: وردت.

وينزلون الأئمة - عليهم السلام - عن مراتبهم، ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية^(١) حتى ينكت^(٢) في قلوبهم، ورأينا من يقول إنهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون^(٣)، ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء. وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه.

ويكفي في علامة الغلو نفي القائل به عن الأئمة سمات الحدوث وحكمه لهم بالإلهية والقدم؛ [إذ قالوا بها]^(٤) يقتضي ذلك من خلق أعيان الأجسام واختراع الجواهر وما ليس بمقدور العباد من الأعراض، ولا يحتاج مع ذلك إلى الحكم عليهم وتحقيق أمرهم بما جعله أبو جعفر سمة للغلو^(٥) على كل حال^(٦).

(١) «ق»: الشرعية.

(٢) وفي حديث وصف أهل البيت ع من جملة علومهم نكت في القلوب و... أما النكت في القلوب بالهام... «مجمع البحرين - نكت». ج.

(٣) «ق»: والفتوى.

(٤) «ق»: «أ»، أو، «ح»: «ز»: إذا ما.

(٥) في بقية النسخ: في الغلو.

(٦) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٦.

فصل: في التقيّة

قال أبو جعفر: باب التقيّة... إلى آخره^(١).

قال الشيخ المفيد: التقيّة: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو^(٢) الدنيا^(٣)، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظنّ، فمتى لم يعلم ضرراً بإظهار الحق ولا قوي في الظنّ ذلك لم يجب فرض التقيّة.

وقد أمر الصادقون - عليهم السلام - جماعة من أشياعهم بالكفّ^(٤) والإمساك عن إظهار الحقّ، والمباطنة والستر له عن أعداء الدين، والمظاهرة لهم بما يُزيل الرّيب عنهم^(٥) في خلافهم. وكان ذلك هو الأصلح لهم، وأمروا طائفة أخرى من شيعتهم بمكاملة الخصوم ومظاهرهم ودعائهم إلى الحقّ، لعلمهم بأنّه لا ضرر عليهم في ذلك، فالتقيّة تجب بحسب ما ذكرناه، ويسقط فرضها في مواضع أخرى - على ما قدّمناه - وأبو جعفر أجمل القول في هذا^(٦) ولم يفصله - على ما بيّناه - وقضى بنا أطلقه فيه من غير تقيّة على نفسه لتضييع الغرض في التقيّة، وحكم

(١) الاعتقادات ص ١٠٧.

(٢) في بقية النسخ: و.

(٣) أنظر «أوائل المقالات» - ص ٩٦. ج.

(٤) «ق»: بالكتم.

(٥) «ح»: «ش»: منهم.

(٦) في المطبوعة: ذلك.

بترك الواجب في معناها؛ إذ قد كشف نفسه فيما اعتقده من الحق بمجالسه المشهورة، ومقاماته التي كانت معروفة، وتصنيفاته التي سارت في الآفاق، ولم يشعر [بمناقضته بين أقواله وأفعاله، ولو وضع القول في التقيّة موضعه، وقيد من لفظه فيه ما أطلقه لسلم من المناقضة، وتبين للمسترشدين حقيقة الأمر فيها، ولم يرتج عليهم بابها، ويشكل بما ورد فيها معناها، لكنه على مذهب أصحاب الحديث في العمل على ظواهر الألفاظ، والعدول عن طريق الاعتبار. وهذا رأي يضّر صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار.

في أن آباء النبي ﷺ كانوا موحدين

قال أبو جعفر في آباء النبي ﷺ: اعتقادنا فيهم أنهم مسلمون (١)(٢).
قال الشيخ المفيد: آباء النبي ﷺ إلى آدم - عليه السلام - كانوا موحدين على الإيمان بالله؛ حسب ما ذكره أبو جعفر - رحمه الله - وعليه إجماع عصابة الحق.
قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (٣) يريد به: تنقله في أصلاب الموحدين.

وقال نبيه ﷺ: « ما زلتُ أتَنقَلُ من أصلاب الطَّاهرين إلى أرحامِ المطهَّراتِ، حتَّى أخرجني اللهُ تعالى في عالمكم هذا» فدَلَّ على أن آباءه كلَّهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحقَّ الوصف بالطَّهارة، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٤) فحكم على الكفار بالنَّجاسة، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ بطهارة آباءه كلَّهم ووصفهم بذلك، دَلَّ على أنهم كانوا مؤمنين.

(١) الاعتقادات ص ١١٠.

(٢) عنه في البحار ١٥: ١٧.

(٣) الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

(٤) التوبة: ٢٨.

في تفسير آية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية

قال أبو جعفر - رحمه الله -: إن الله تعالى جعل أجر نبيه ﷺ على أداء الرسالة وإرشاد البرية مودة أهل بيته - عليهم السلام - واستشهد على هذا بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١)(٢)(٣).

قال الشيخ - رحمه الله -: لا يصح القول بأن الله تعالى جعل أجر نبيه مودة أهل بيته - عليهم السلام - ولا أنه جعل ذلك من أجره - عليه السلام - لأن أجر النبي ﷺ في التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم، وهو مستحق على الله تعالى في عدله وجوده وكرمه، وليس المستحق على الأعمال يتعلق بالعباد، لأن العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا مع أن الله تعالى يقول (٤): ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

(١) الاعتقادات ص ١١١.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) أنظر «مجمع البيان» - ص ٢٨ - ٢٩ ج ٥ ط صيدا، وإلى تفسير آية: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ في المجمع - ص ٣٩٦ ج ٤ ط صيدا، للشيخ الطبرسي - ره - ج .

(٤) وقال الله تعالى في سورة الشعراء: (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠): ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ج .

عَلَى اللَّهِ ﴿^(١)﴾ وفي موضع آخر: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ﴿^(٢)﴾ فلو كان الأجر على ما ظنه أبو جعفر في معنى الآية لتناقض القرآن، وذلك أنه كان تقدير الآية: قل لا أسألكم عليه أجراً، بل أسألكم عليه أجراً، ويكون أيضاً: إن أجري إلا على الله، بل أجري على الله وعلى غيره. وهذا محال لا يصح حمل القرآن عليه.

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أو ليس هذا يفيد أنه قد سألهم مودة القربى لأجره على الأداء؟ قيل له: ليس الأمر على ما ظننت - لما قدمناه من حجة العقل والقرآن - والاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة، لكنه استثناء منقطع، ومعناه: قل لا أسألكم عليه أجراً، لكن ألزمتكم المودة في القربى وأسألكموها، فيكون قوله: قل لا أسألكم عليه أجراً، كلاماً تاماً قد استوفى معناه، ويكون قوله: إلا المودة في القربى، كلاماً مبتدأ، فائدته: لكن المودة في القربى سألتكموها، وهذا كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ﴿^(٣)﴾ والمعنى فيه: لكن إبليس، وليس باستثناء من جملة ^(٤)، وكقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿^(٥)﴾ ^(٦) معناه: لكن رب العالمين ليس بعدو لي؛ قال الشاعر:

(١) هود: ٢٩.

(٢) هود: ٥١.

(٣) الحجر: ٣٠-٣١.

(٤) أنظر (أوائل المقالات طبع ١٣٧١ - ص ١١٠). ج.

(٥) الشعراء: ٧٧.

(٦) أنظر (مجمع البيان - ص ١٩٣ ج ٤ ط صيدا). ج.

وبلدة ليس بها أنيسُ إلا اليعافير وإلا العيسُ^(١)

وكان المعنى في قوله: وبلدة ليس بها أنيس، على تمام الكلام واستيفاء معناه، وقوله: إلا اليعافير، كلام مبتدأ معناه: لكن اليعافير والعيس فيها، وهذا بين لا يخفى الكلام فيه على أحد ممن عرف طرفاً من اللسان، والأمر فيه عند أهل اللغة أشهر من أن يحتاج معه إلى استشهاد.

(١) اليعفور: الغزال - العيس: الأبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف. الواحد عيس والواحدة عيساء. ج.

في الحظر والإباحة

قال أبو جعفر في الحظر والإباحة: الأشياء كلها مطلقة ... إلخ^(١).

قال الشيخ المفيد: الأشياء في أحكام العقول على ضربين:

أحدهما معلوم حظره بالعقل؛ وهو ما قبّحه العقل وزجر عنه وبعّد منه كالظلم والسّفه والعبث.

والضرب الآخر: موقوف في العقل لا يقضي على حظر ولا إباحة إلاّ بالسّمع، وهو ما جاز أن يكون للخلق بفعله مفسدة تارة ومصلحة أخرى، وهذا الضرب مختصّ بالعادات من الشرائع التي يتطرّق إليها النسخ والتبديل، فأما بعد استقرار الشرائع؛ فالحكم أنّ كل شيء لا نصّ في حظره فإنه على الإطلاق، لأنّ الشرائع ثبتت الحدود وميّزت المحظور على حظره، فوجب أن يكون ما عداه بخلاف حكمه^(٢).

(١) الاعتقادات ص ١١٤.

(٢) ما تقدّم بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ سوى المطبوعة.

في الطّب

قال أبو جعفر: اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطّب^(١).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -^(٢): الطّب صحيح، والعلم به ثابت، وطريقه الوحي، وإنّما أخذها العلماء به عن الأنبياء - عليهم السلام - وذلك أنّه لا طريق إلى علم حقيقة الدّاء إلّا بالسمع، ولا سبيل إلى معرفة الدّواء إلّا بالتوقيف^(٣)، فثبت أنّ طريق ذلك هو السمع عن العالم بالخفّيات تعالى.

والأخبار الواردة عن الصادقين - عليهم السلام - مفسّرة بقول أمير المؤمنين - عليه السلام -: «المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس الدّواء» و «عود كلّ بدن ما اعتاد»^(٤) وقد ينجع في بعض أهل البلاد من الدّواء من مرض يعرض لهم ما يهلك من استعمله لذلك المرض من غير أهل تلك البلاد، ويصلح لقوم ذوي عادة ما لا يصلح لمن خالفهم في العادة.

وكان الصّادقون - عليهم السلام - يأمرّون بعض أصحاب الأمراض باستعمال ما يضرّ بمن كان به^(٥) المرض فلا يضرّهم، وذلك لعلمهم - عليهم السلام - بانقطاع سبب

(١) الاعتقادات ص ١١٥.

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٥٩.

(٣) «ق»: التوقيف.

(٤) «ز»: اعتاده.

(٥) «ز»: فيه هذا.

المرض، فإذا استعمل الإنسان ما يستعمله كان مستعملاً له مع الصّحة من حيث لا يشعر بذلك، وكان علمهم بذلك من قبل الله تعالى على سبيل المعجز (١) لهم والبرهان لتخصيصهم به وخرق العادة بمعناه، فظنّ قوم أنّ ذلك الاستعمال إذا حصل مع مادّة المرض نفع فغلطوا فيه واستضروا به. وهذا قسم لم يورده أبو جعفر، وهو معتمد (٢) في هذا الباب، والوجوه التي ذكرها من بعد فهي على ما ذكره، والأحاديث محتملة لما وصفه حسب ما ذكرناه (٣).

(١) في المطبوعة: المعجزة.

(٢) عز: المعتمد.

(٣) بحار الأنوار ٥٩: ٧٦.

فصل: في الأحاديث المختلفة (*)

قال أبو جعفر: في الحديثين المختلفين ... إلى آخره^(١).

قال الشيخ المفيد - رحمه الله -: لم يوضح أبو جعفر - رحمه الله - عن الطّريق التي توصل إلى علم ما يجب العمل عليه ممّا لا يجب، بل أجمل القول في ذلك إجمالاً مع صدق الحاجة إلى التفصيل والتّفرة بين ما يلزم ممّا لا يلزم بما يميّز به كل واحد منهما ويعرف بذلك حقّ الحديث من باطله. والذي أثبتته أبو جعفر - رحمه الله - من مجمل القول فيه لم يجد نفعاً.

وقد تكلمنا على اختلاف الأحاديث وبيّنا فرق ما بين صحيحها^(٢) من سقيمها^(٣)، وحقّها من باطلها، وما عليه العمل منها ممّا لا يُعمل عليه، وما تتفق معانيه مع اختلاف ألفاظه، وما خرج مخرج التّقية في الفتيا، وما الظاهر منه كالباطن في مواضع من كتبنا وأمالينا^(٤)، وبيّنا ذلك بياناً يرفع^(٥) الإشكال فيه لمن تأمل^(٦)؛ والمثّة لله تعالى، فمن أراد معرفة هذا الباب فليرجع إلى كتابنا المعروف ب-

* وقد أشار المصنف إلى هذا الباب عند جوابه عن المسألة الثامنة من المسائل السروية إشارة اجمالية. وانظر جواب المسألة التاسعة منها أيضاً. ج.

(١) الاعتقادات ص ١١٧.

(٢) «أ» «ح» «ش»: صحتها.

(٣) «أ» «ح» «ش»: سقيمها.

(٤) «ق»: ورسائلنا.

(٥) في المطبوعة: يرتفع.

(٦) «ح»: تأمله.

«التمهيد» وإلى كتاب «مصايح النور» وأجوبة مسائل أصحابنا من ^(١) الآفاق؛
يجد ذلك على ما ذكرناه.

فصل:

وجملة الأمر أنه ليس كل حديث عُزي إلى الصادقين - عليهم السلام - حقاً عليهم ^(٢)، وقد أضيف إليهم ما ليس بحق عنهم [ومن لا معرفة له لا يفرق] ^(٣) بين الحق والباطل ^(٤).

وقد جاء عنهم - عليهم السلام - ألفاظ مختلفة في معانٍ مخصوصة، فمنها ما تتلازم معانيه وإن اختلفت ألفاظه، لدخول الخصوص فيه والعموم والندب والإيجاب، ولكون بعضه على أسباب لا يتعداها ^(٥) الحكم إلى غيرها، والتعريض في بعضها بمجاز الكلام لموضع التقيّة والمداراة، وكلّ من ذلك مقترن بدليله ^(٦)، غير خال من برهانه؛ والمنة لله سبحانه.

وتفصيل هذه الجملة يصح ويظهر عند إثبات الأحاديث المختلفة، والكلام عليها ما قدّمناه، والحكم في معانيها ما وصفناه، إلا أنّ المكذوب منها لا ينتشر بكثرة الأسانيد انتشار الصحيح المصدوق على الأئمة - عليهم السلام - فيه، وما

(١) «ز»: في.

(٢) في المطبوعة: عنهم.

(٣) «ز» وذلك غير خفيّ على من له معرفة تفرّق به ما، «أ»: وقد اشتبه على من لا معرفة له الفرق ما.

«ح»: فيشته على من لا معرفة له يفرق ما.

(٤) «أ» زيادة: منها.

(٥) «ق»: يتعدى.

(٦) «ح»: بدليل.

خرج للتقيّة لا تكثر روايته عنهم كما تكثر رواية المعمول به، بل لا بدّ من الرّجحان في أحد الطرفين على الآخر من جهة الرّواة حسب ما ذكرناه، ولم تجمع العصابة على شيء كان الحكم فيه تقيّة، ولا شيء دلس^(١) فيه ووضع متخصّصاً^(٢) عليهم وكذب في إضافته إليهم.

فإذا وجدنا أحد الحديثين متفقاً على العمل به دون الآخر علمنا أنّ الذي اتّفق على العمل به هو الحقّ في ظاهره وباطنه، وأنّ الآخر غير معمول به؛ إمّا للقول فيه على وجه التقيّة، أو لوقوع الكذب فيه.

وإذا^(٣) وجدنا حديثاً يرويه عشرة من أصحاب الأئمة - عليهم السلام - يخالفه حديث آخر في لفظه ومعناه ولا يصحّ الجمع بينهما على حال^(٤) رواه إثنان أو ثلاثة، قضينا بما رواه^(٥) العشرة ونحوهم على الحديث الذي رواه^(٦) الإثنان أو الثلاثة، وحملنا ما رواه القليل على وجه التقيّة أو توهم^(٧) ناقله.

وإذا وجدنا حديثاً قد تكرر العمل به من خاصّة أصحاب الأئمة - عليهم السلام - في زمان بعد زمان وعصر إمام بعد إمام قضينا به على ما رواه غيرهم من خلافه ما لم تتكرر الرواية به والعمل بمقتضاه حسب ما ذكرناه.

فإذا وجدنا حديثاً رواه شيوخ العصابة ولم يرووا^(٨) على أنفسهم خلافه

(١) في بعض النسخ: دس.

(٢) في بعض النسخ: مخروصاً، وفي بعض آخر: متخصّصاً.

(٣) «ز»: فإذا.

(٤) «أ»: زيادة: وإن.

(٥) «ز»: روته.

(٦) «ز»: روته.

(٧) «ح»: لوهم.

(٨) في بعض النسخ: يوردوا.

علمنا أنه ثابت، وإن روى غيرهم ممن ليس في العدد^(١) وفي التخصيص بالأئمة - عليهم السلام - مثلهم إذ ذاك علامة الحق فيه، وفرق ما بين الباطل وبين الحق في معناه، وأنه لا يجوز أن يفتي الإمام - عليه السلام - على وجه التقيّة في حادثة فيسمع ذلك المختصون بعلم الدّين من أصحابهم ولا يعلمون مخرجه على أيّ وجه كان القول فيه، ولو ذهب عن واحد منهم لم يذهب عن الجماعة، لا سيّما وهم المعروفون بالفتيا^(٢) والحلال والحرام، ونقل الفرائض والسّنن والأحكام.

ومتى وجدنا حديثاً يخالفه الكتاب ولا يصحّ وفاقه له على حال أطرحناه، لقضاء الكتاب بذلك وإجماع [الأئمة - عليهم السلام -] ^(٣) عليه.

وكذلك إن وجدنا حديثاً يخالف أحكام العقول أطرحناه لقضيّة العقل^(٤) بفساده، ثمّ الحكم بذلك على أنه صحيح خرج^(٥) مخرج التقيّة أو باطل أضيف إليهم موقوف على لفظه، وما تجوّز الشريعة فيه القول بالتقيّة وتحظره وتقضي العادات بذلك أو تنكره. فهذه جملة ما انطوت عليه من التفصيل تدلّ على الحقّ في الأخبار المختلفة، والصريح فيها لا يتمّ إلّا بعد إيراد الأحاديث، والقول في كلّ واحد منها ما يتّينا طريقه.

وأما ما تعلق به أبو جعفر - رحمه الله - من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف^(٦) إليه برواية أبان بن أبي عيّاش، فالمعنى فيه صحيح، غير أنّ هذا الكتاب غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تحليط وتدلّيس، فينبغي للمتدّين أن يجتنب العمل بكلّ ما فيه، ولا يعوّل على جملته

(١) في المطبوعة: العداد.

(٢) (٢): في.

(٣) (٣): الأئمة.

(٤) في المطبوعة: العقول.

(٥) في بعض النسخ: أخرج.

(٦) (٦): مضافاً.

والتقليد لرواته ^(١) وليفزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحاديث ليوقفوه ^(٢) على الصحيح منها والفاقد، والله الموفق للصواب.

[تمّت وبالخير خُتِمت، قد فرغت من تحرير هذه الرّسالة المتعلّقة على اعتقادات ابن بابويه - رحمه الله - لشيخنا الإمام العلامة السّعيد المفيد ^(٣) - طاب ثراه - في اليوم التّاسع من شهر محرّم الحرام من شهور سنة ثمانين بعد الألف (١٠٨٠) من الهجرة المصطفويّة - على مشرفها وآله ألف تحيّة - وكتبها لنفسه ولن يشاء الله من بعده العبد أحمد بن عبد العالي الميسّي العامليّ - تجاوز الله عن سيئاته، وحشره مع ساداته الأئمّة الأطهار، صلوات الله عليهم أجمعين - آمين ربّ العالمين؛ بيمينه وكرمه.

تمّت المقابلة على نسخة حجّة الإسلام السيّد هبة الدّين الحسينيّ؛ ببغداد، العراق].

(١) في المطبوعة: لراويه.

(٢) «ح» «ش»: ليفقهوه.

(٣) استدرّك - قال الحافظ الذهبي * (المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ) في كتابه (دول الاسلام - ص ١٨٠ ج ١ ط ٢ هـ ١٣٦٤ هـ) ما نصّه: وفيها (يعني في سنة ٤١٣) مات... و شيخ علماء الرافضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المعلم و يلقّب بالشيخ المفيد و كان ذا جلاله عظيمة في دولة بني بويه و كان عضد الدولة ينزل إليه، عاش ستاً و سبعين سنة و له مصنّفات كثيرة و كان خاشعاً متعبداً متألهاً شيعه ثمانون ألفاً من الرافضة لا بآرك الله فيهم. ج.

* تلميذ الحافظ أحمد بن تيمية الحراني المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ عن ٦٧ سنة، مؤلّف كتاب الردّ على المنطقيين، ذلك الكتاب الفلسفي الذي قام بطبعه ونشره للمرة الأولى الأستاذ المفضّال عبد الصمد شرف الدّين الكتبي سنة ١٣٦٨ هـ ببمبای - الهند، و كان طبعه في مطبعته القيمة في قالب قشيب جميل عن نسخة وحيدة كتب عليها المصنّف بخطه مصدراً بمقدمة له و كلمة للدكتور السيد سليمان الندوي مدير مجلة (معارف) المحترم. أنظر (العرفان الاغر - ص ٣٤ - ٣٧ ج ١ مج ٣٨ ط صيدا). ج.

وإليه المرجع والمآب، والحمد لله على الهداية، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله^(١). ربيع الأول ١٣٥٨ هـ. وأنا الأقل: السيد أحمد السيد هادي الحائري الشهرستاني - عُفي عنه.

(١) جاء في آخر النسخ المعتمدة ما يلي:

«أ»: قد فرغت من تحرير هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه - رحمه الله تعالى - لشيخنا الإمام العلامة السعيد المفيد - طاب ثراه - في اليوم التاسع من شهر محرم الحرام، من شهور سنة ثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية - على مشرفها ألف تحية - وكتبها لنفسه ولن يشاء الله تعالى من بعده: أحمد بن عبد العالي الميسبي العاملي - تجاوز الله عن سيئاته، وحشره مع ساداته الأئمة الأطهار الأبرار، صلوات الله عليهم أجمعين - أمين.

[ثم قال التأسخ عنها]: وأنا قد فرغت بعون الله وتوفيقه من تحريره في اليوم السادس من شهر محرم الحرام سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية، وأنا العبد الأحمق الجاني الحسن بن محمد الحياياتي التبريزي.

«ح»: تم شرح الشيخ المفيد - رحمه الله - على اعتقادات الشيخ أبي جعفر ابن بابويه القمي - رحمه الله - يوم الأحد التاسع وعشرون من شهر ربيع الثاني سنة تسع وسبعين بعد الألف، على يدي المذنب المحتاج إلى عفو مولاه مصطفى قلي - أعطاه الله العظيم بالنبي والوصي وألها الكرام ... إلى الله الرحيم.

«ز»: يقول الفقير إلى الله الغني، ابن زين العابدين محمد حسين الارموي النجفي: هذا تمام ما في النسخة التي نسخت هذه منها واتفق لي الفراغ في آخر يوم من صفر سنة ألف وثلاثمائة واثنا وخمسين الهجري - على هاجرها ألف سلام وتحية - وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

«ش»: قد فرغت من تحرير هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه - رحمه الله - لشيخنا الإمام العلامة السعيد المفيد - طاب ثراه - إلّا في بعض المواضع التي كانت ساقطة من المنتسخ. يسر الله حصولها؛ بيمين الفقير المذنب المحتاج إلى رحمة الله المعين شاه محمد بن زين العابدين، في بندر السورت من بنادر الهند، في غرة جمادى الثانية في السنة الثانية بعد الأربعين وألف؛ حامداً مُصلياً مُسلياً.

«م»: وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة ليلة الإثنين تاسع شهر جمادى الآخرة، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية - على هاجرها الصلاة والتحية - في شريعة الكوفة.

« ختامه مسك »

ولنختم الكتاب بعون الله الملك الوهاب بنشر الاجازة التي دبجها يراع
ساحة العلامة الإمام آية الله في الأنام حضرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف
الغطاء - متع الله العلم و الدين بطول حياته - بمقتضى لطفه وعطفه نحو الناشر
المخلص ليكون ختامه مسكاً.

هذا وتماماً هو جدير بالتسطير: ان ساحة مفخرة الطائفة قد غادر
النجف الاشرف في ١٢ جمادى الأولى ١٣٧١ ق - ٣٠ / ١٢ / ١٩ ش إلى عاصمة
الباكستان (كراتشى - كراچى) على الطائر الميمون حسب دعوة اخواننا
الباكستانيين من اعلام المسلمين و علماءهم في عاصمتها واصرارهم على مغارة
سماحته الغريّ لقاعدتها للحضور إلى مؤتمر اسلامي كانوا قد اعتمروا إذ ذاك على
عقده هناك باجتماع رجال الاسلام للمداولة في شؤون المسلمين. وقد انعقد المؤتمر
- على ما نشرته الصحف - بكراتشى يوم الخميس ١٧ ج ١ - ٣٠ / ١٢ / ٢٤
برئاسة ساحة مفتي فلسطين الأعظم الحاج السيد أمين الحسيني. متع الله
المسلمين بطول حياة الإمام وأسعف الأعلام بالتنتاج المثمرة للاسلام.
وإليك أيها القارئ الكريم: نص اجازة الامام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وفضل مدادهم على دماء الشهداء، وأجاز لهم من المواهب ما أجاز، وصلى الله على محمد وآله مجاز الحقيقة وحققة المجاز. وبعد. فإنّ جناب العالم المحدث فخر الخطباء وخطيب العلماء، فارس المنابر ومصداق كم ترك الأول للآخر، الحاج ميرزا عباسقلی التبريزي جرندي أيدته الله و أدام فيوضاته في المحافل والنوادي للحاضر والبادي قد استجازني على طريقة السلف الصالح وأساطين الدين من المتقدمين والمتأخرين، وحيث إنّي على سابق من فضله ونبله وسعة باعه وغزير اطلاعه، بما وصلنا من مؤلفاته الجليلة لذلك أجزته أن يروي عني جميع ما صحّت لي روايته عن مشايخي الأعلام وأساتيدي العظام، أذكر منها طريقاً واحداً: فقد أجازني أستاذي في الحديث الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب المستدرک عن شيخنا المرتضى أعلى الله مقامه عن الشيخ علي عن أخيه الشيخ موسى عن أبيه الشيخ الكبير كاشف الغطاء عن الآقا البهبهاني عن أبيه محمد أكمل عن جمال الدين الخونساري عن الشيخ جعفر القاضي عن المجلسي عن أبيه المجلسي الأول عن الشيخ البهائي عن أبيه حسين بن عبد الصمد عن الشهيد الثاني عن علي بن عبد العالي الميسي عن ابن المؤذن محمد بن داود عن ضياء الدين علي عن أبيه الشهيد الأول عن فخر المحققين عن أبيه العلامة عن المحقق جعفر بن السعيد عن ابن نما عن ابن ادريس عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي عن الشيخ الياس الحائري عن الشيخ أبي علي عن أبيه شيخ الطائفة عن المفيد عن الصدوق عن الكليني رضوان الله عليهم جميعاً بسنده عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم عن جدهم رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الباري جلّت عظمته. ورجائي أن لا ينساني من صالح دعواته كما لا أنساه والله يحفظه ويرعاه بدعاء.

محمد الحسين

صدر من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف

آل كاشف الغطاء

٧ جمادى الأولى ١٣٧١

«كلمة غالية»

للعقاد الاصبھانی

قال العلامة الخیر والکاتب الکبیر عماد الدین أبو عبد الله محمد بن حامد
الاصبھانی المتوفى سنة ٥٩٧هـ بدمشق: «انّی رأیت انه لا یکتب انسان کتاباً فی
یومه إلا قال فی غده: لو غیر هذا لکان أحسن، ولو زید کذا لکان یستحسن، ولو
قدم هذا لکان أفضل، ولو ترک هذا لکان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دلیل
على استیلاء النقص على جملة البشر». چرندابى .

فهرس كتاب تصحیح الاعتقاد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٦	الجبر والتفويض	١-١٨	مقدمة الكتاب
٤٨	المشيئة والارادة	١٩	الشيخ المفيد - و - تصحيح الاعتقاد
٥٤	تفسير آيات القضاء والقدر	٢٧	مفتح الكتاب
٥٧	تفسير أخبار القضاء والقدر	٢٨	معنى كشف الساق
٦٠	معنى فطرة الله	٣٠	تأويل اليد
٦٣	معنى الاستطاعة	٣١	نفخ الأرواح
٦٥	معنى البداء	٣٣	حكمة الكناية والاستعارة
	الجدال على ضربين: أحدهما بالحق		المكر والخدعة من الله - معنى الله
٦٨	والآخر بالباطل	٣٥	يستهزئ بهم
٧٤	في اللوح والقلم	٣٨	نسبة النسيان إلى الله
٧٥	معنى العرش	٤٠	صفات الله
٧٩	في النفوس والأرواح	٤٢	خلق أفعال العباد
٨٣	تفسير أخبار الدرّ	٤٤	فصل - كتاب الله مقدم على الأحاديث

١٢٨	في العصمة	٨٣	تفسير آية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
١٣١	في الغلو والتفويض	٨٩	آدمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية
	في أن ما ذكره أبو جعفر - ره - من	٩٤	في الرجعة
	مضى نبينا والأئمة - عليهم السلام - بالسهم	٩٨	فيما وصف به الشيخ أبو جعفر - ره -
١٣١	والقتل، منه ما ثبت و منه ما لم يثبت	٩٨	الموت
١٣٧	في التقية	١٠٣	في المساءلة في القبر
١٣٩	في أن آباء النبي ﷺ كانوا موحدين	١٠٦	فيما ذكر الشيخ أبو جعفر - ره - في
	في تفسير آية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ	١٠٨	العدل
١٤٠	أجراً إلا المودة في القربى﴾	١١٢	في الأعراف
١٤٣	في الحظر والاباحة	١١٤	في الصراط
١٤٤	في الطب	١١٦	في العقبات
١٤٦	في الأحاديث المختلفة	١١٩	في الحساب و الميزان
	إجازة سماحة الإمام آل كاشف الغطاء	١٢٠	في الجنة والنار
١٥٤	مدّ ظله للواعظ الجرندي كتباً	١٢٣	حدّ التكفير
	كلمة غالية، للكاتب الكبير عماد		في نزول الوحي
١٥٥	الدين الاصبهاني		في نزول القرآن
			تفسير آية: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ
			ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يلقى
			إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾
			في الاشارة إلى أنّ طبرس المنسوب إليه
		١٢٥	الامام الطبرسي

«كلمة قيّمة حول الذكر الحكيم»

ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال الدكتور شبلي شميل^(١) اللبناني المصري المادي الشهير (المتوفى سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م): «إنّ في القرآن أحوالاً اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كلّ زمان ومكان حتى في أمر النساء فإنّه كلفهنّ بأن يكنّ محجوبات عن الريب و الفواحش، وأوجب على الرجال أن يتزوج بواحدة عند عدم امكان العدل، و إنّ القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة وترقية الروح و الجسد بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلّي عن العالم الفاني».

وقال الدكتور المادي الأنف الذكر في كلمته الأخرى التي مدح بها القرآن الكريم وجلالة صاحب الرسالة العظيم (محمد بن عبد الله ﷺ)، مخاطباً بها العلامة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا^(٢) (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ) نثراً ونظماً، ما

(١) اقرأ ترجمته الضافية في (معجم أدباء الأطباء - ص ١٩١ - ١٩٥ ط نجف) و (اعلام المقتطف - ص ٢٨٨ - ٢٩٢ ط مصر). ج .

(٢) مؤلّف تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، فسر به ١٢ جزء من الذكر الحكيم في ١٢ مجلداً، وآخر ما وصل إليه في التفسير من الجزء الثالث عشر الآية الكريمة المرقومة بمائة وواحد من سورة يوسف - عليه السلام -: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ﴾ الآية. وقرأ أيتها القارئ الكريم ترجمته المسهبة في كتاب (السيد رشيد رضا - أو - اخاء أربعين سنة ط دمشق) لأمير البيان شكيب أرسلان (١٨٧٠ - ١٩٤٦م). راجع كتاب (ذكرى الأمير شكيب أرسلان ط مصر). ج .

لفظه:

إلى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار)
 أنت تنظر إلى محمد كنبّي و تجعله عظيماً وأنا أنظر إليه كرجل وأجعله
 أعظم، ونحن و إن كنّا في الاعتقاد على طرفي نقيض فالجامع بيننا العقل الواسع
 والاخلاص في القول و ذلك أوثق لنا لعري المودّة (الحقّ أولى أن يقال)

دع من محمّد في صدى قرآنه	ما قد نحاه للحمّة الغايات
اني وإن أك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات؟
أو ما حوت في ناصع الألفاظ من	حكم روادع للهوى وعظّات
و شرائع لو أنّهم عقلوا بها	ما قيّدوا العمران بالعادات؟
نعم المدبر و الحكيم وأنّه	ربّ الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجى رجل السياسة والدهاء	بطل حليف النصر في الغارات
ببلاغة القرآن قد خلب النهى	و بسيفه أنحى على الهامات
من دونه الأبطال في كلّ الورى	من سابق أو غائب أو آت

چرندابي

